نظرات في قصة يوسف عليه السلام وخلق العفة للشباب المعاصر

- دراسة دعوية تربوية -

د. سُعود عبد العزيز الدّوسَري (*)

(*) أستاذ مساعد بقسم العقيدة والدعوة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت.

ملخص البحث:

لقد واجه يوسف عليه السلام الكثير من المحن والابتلاءات في مختلف أطوار حياته، وسوف نركز على مشهد واحد ومحنة خاصة، وهي محنة النساء والابتلاء بالفتن والشهوات والإغراءات وكيفية التغلب عليها، ومواجهتها والخروج منها بعزة وكرامة وأمن وسلام، وهو موضوع هذا البحث.

زرع الإسلام أدب الحشمة والوقار لوقاية الأعراض، وغض البصر، وتحريم الخلوة بين الرجل والمرأة، ومنع الاختلاط، وحث على تيسير الزواج، والاستئذان عند دخول؛ البيوت؛ حفاظًا على أعراض المسلمين، وحرمة البيوت، وكرامة الأسر، والحذر من البيئة الفاسدة، و أصدقاء السوء، وضياع الوقت فيما لا فائدة فيه.

وسوف ألقي الضوء – بإذن الله تعالى – في هذا البحث على الجانب الخلقي المتمثل في عفة يوسف عليه السلام.

لقد كان من أسباب اختياري لهذا الموضوع: بيان المحنة التي تعرض لها نبي الله يوسف عليه السلام، بما يتمتع به من صفات لا تتوافر لغيره من الشباب مطلقاً، وكيفية مواجهته لهذه المحنة وتلك الفتنة التي تعصف بالشباب في العصر الحاضر ؛ لأخذ الحذر والتدابير الوقائية التي تحصنهم ضد الوقوع في الفواحش .

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الذي هدانا لهذا؛ وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، نحمده حمداً طيبا طاهرا مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل في قصص الأنبياء عبرة لأولي الأبصار والبصائر، فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[1].

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين.

أما بعد ؛؛؛؛؛

فقد بين الله تعالى المنهج القويم والأسلوب الحكيم، في التربية الأخلاقية للشباب، ووضع لذلك نموذجا حياً للتأسي والاقتداء به، في سورة كريمة من سوره المباركة، وهي سورة يوسف عليه السلام، التي بينت المعالم ووضحت الأسس التي ينبغي أن يسير عليها الشباب في كل زمان ومكان، طلباً للعفة والطهارة والنقاء، ووصولاً إلى العزة والكرامة والنهضة في شتى مجالات الحياة، فما انتشرت الفضيلة والعفة في أمة إلا وازدهرت حضارتها وارتفع شأنها، وتقدمت في كل شؤونها، وما انتشرت الرذيلة والفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء والأمراض التي لم تكن في الأمم السابقة، وساد الفساد والهلاك، وعمت البلوى، وتأخرت الأمة عن غيرها من أمم العالم.

إن الإسلام لا يحارب الفطرة، ولا يكبت الغرائز، ولكن ينظمها ويهذبها، ويرتفع بها من مستوى الحيوانية المادية إلى مستوى النهوض؛ لتنشئ الحياة الكريمة والجيل الصالح.

---

(١) سورة يوسف، الآية (١١١).

وزرع الإسلام أدب الحشمة والوقار لوقاية الأعراض، وغض البصر، وتحريم الخلوة بين الرجل والمرأة، ومنع الاختلاط، وحث على تيسير الزواج، والاستئذان عند دخول البيوت؛ حفاظا على أعراض المسلمين، وحرمة البيوت، وكرامة الأسر، والحذر من البيئة الفاسدة و أصدقاء السوء وضياع الوقت فيما لا فائدة فيه.

وسوف ألقي الضوء – بإذن الله تعالى – في هذا البحث على الجانب الخلقي المتمثل في عفة يوسف عليه السلام.

لقد كان من أسباب اختياري لهذا الموضوع: بيان المحنة التي تعرض لها نبي الله يوسف عليه السلام، بما يتمتع به من صفات لا تتوافر لغيره من الشباب مطلقاً، وكيفية مواجهته لهذه المحنة وتلك الفتنة التي تعصف بالشباب في العصر الحاضر؛ لأخذ الحذر والتدابير الوقائية التي تحصنهم ضد الوقوع في الفواحش.

لقد واجه يوسف عليه السلام الكثير من المحن والابتلاءات في مختلف حياته، وسوف نركز على مشهد واحد ومحنة خاصة، وهي محنة النساء والابتلاء بالفتن والشهوات والإغراءات وكيفية التغلب عليها، ومواجهتها والخروج منها بعزة وكرامة وأمن وسلام، وهو موضوع هذا البحث.

أولاً: أهمية البحث :

١- بيان دور الإيمان بالله تعالى في تحصين الشباب ضد الإغراءات والشهوات.

٢- إبراز العوامل التي تقي الشباب من الانحرافات الجنسية، واستثمار وقت فراغهم فيما ينفعهم ويفيدهم .

٣- تحقيق القدوة العملية والنموذج الحي في شخص يوسف عليه السلام وإبراز جانب العفة والطهارة في قصة نبي كريم؛ ليكون فيه العبرة والعظة للشباب المعاصر.

٤- إظهار العوامل التي تؤدي إلى فساد المجتمع أخلاقياً وسلوكياً، كالاختلاط والصحبة الفاسدة، والتبرج والخلوة ... وغيرها.

٥- استخلاص العبر والدروس المستفادة للدعاة والمربين؛ لوضع المنهج العلمي

لحماية الشباب من الفساد والانحلال الأخلاقي.

٦- حاجة الشباب المعاصر الضرورية إلى التذكير بأهمية الفضائل والأخلاق الكريمة، من خلال العيش في الجو الروحاني، والحياة العملية والقصة الواقعية التي تنير لهم طريق الاستقامة، وجهاد النفس وعلو الهمة، وضبط الشهوات لمواجهة الفتن والمغريات خاصة في العصر الحاضر.

ثانياً: أهداف البحث :

١- رد الفطرة الإنسانية إلى مسارها الصحيح.

٢- بيان دور الصبر ومراقبة الله والاعتصام به على الانتصار على الفتن والشهوات.

٣- تحصين الشباب ضد التيارات الوافدة والأفكار الغربية الهدامة التي تعمل على هدم القيم، والانحلال الخلقي، والقضاء على حصن العفة.

٤- الاطلاع على العوامل التي حصنت ومنعت يوسف عليه السلام من الوقوع في الفاحشة، بهدف إعلاء وتهذيب الغرائز.

٥- الاستفادة من منهج يوسف عليه السلام في التربية الأخلاقية لوقاية الشباب من الانحرافات الجنسية والأخلاقية والاستسلام للإغراءات.

٦- وضع التدابير الوقائية للشباب من الوقوع في الفواحش والانحرافات.

ثالثاً: منهج البحث :

استعنت - بعد الله سبحانه وتعالى - بالمنهج الوصفي التحليلي، لتحليل محتوى النصوص، التي تضمنت الجانب الخلقي من خلال مواجهة يوسف عليه السلام للإغراء الجنسي، وكيفية مواجهته له بالاستعصام، والعفة، وضبط النفس، في سورته المباركة، واستنباط الدروس والعبر المستفادة للفرد والمجتمع في العصر الحاضر.

رابعاً: الدراسات السابقة:

حظيت هذه السورة العظيمة باهتمام الكثير من العلماء والباحثين والدارسين، فانبروا لها تفسيراً وتحليلاً، وكان منها ما يلي:

- المبادئ التربوية المستنبطة من قصة يوسف عليه الصلاة والسلام، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة، إعداد الطالب محمد بن رزيق بن قبل الرحيلي، إشراف د. السعيد بن محمود بن السعيد عثمان، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية ، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠/ ١٤٢١هـ.
- الصورة الفنية في القصة القرآنية: قصة سيدنا يوسف عليه السلام نموذجاً (دراسة جمالية)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، تخصص نظرية الأدب وعلم الجمال، إعداد الطالبة بلحسيني نصيرة، إشراف د. رمضان كريب، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم اللغة العربية وآدابها، السنة الجامعية، ١٤٢٦/١٤٢٧هـ - ٢٠٠٥/٢٠٠٦م.
- سورة يوسف، دراسة تحليلية، تأليف: د. أحمد نوفل، دار النشر: دار الفرقان، سنة الطبع: الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م.
- الإدارة في سورة يوسف عليه السلام، دراسة موضوعية، رسالة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، إعداد الطالب نايف شعبان عبد الله قرموط، إشراف د. عصام العبد محمد زهد، الجامعة الإسلامية، غزة، الدراسات العليا، كلية أصول الدين قسم التفسير وعلوم القرآن، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
- موسوعة تفسير سورة يوسف، تأليف: عليش متولي بدوي البني، اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية،

الديوان الأميري، دولة الكويت.

- قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم (دراسة أدبية)، محمد رشدي عبيد، رابطة الأدب الإسلامي، العبيكان.

كما وجدت العديد من المقالات التي تدور حول قصة يوسف ، منها:

- سورة يوسف: قراءة نفسية.
- يوسف في الجُب.
- يوسف في بيت العزيز.
- نظرات في سورة يوسف.
- قصة يوسف والهم.
- دروس وعبر من قصة يوسف عليه السلام.
- المثال في مواجهة الواقع – تأملات في سورة «يوسف».

وكان من الملاحظ أنه لا يوجد من سبر أغوار قصة يوسف عليه السلام بما يتعلق بخلق العفة عند الشباب المعاصر، وهذا مما دفعني للاهتمام بتقديم هذه الدراسة.

خامساً: خطة البحث :

وقد جاءت هذه الدراسة بفضل الله تعالى وتوفيقه تحت عنوان: نظرات في قصة يوسف عليه السلام وخلق العفة للشباب المعاصر، وقد اشتملت هذه الدراسة على: مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، وذلك على النحو التالي:

المقدمة: وتشمل: الدراسات السابقة، أهمية البحث، أهداف البحث، منهج البحث، خطة البحث.

التمهيد: ويشمل: بين يدي سورة يوسف عليه السلام، بيان معنى العفة.

المبحث الأول: موقف سيدنا يوسف عليه السلام في مواجهة المحن والإغراء بالشهوات.

المطلب الأول: تعرض سيدنا يوسف عليه السلام لفتنة الإغراء والمحن.

المطلب الثاني: مواجهة وصمود سيدنا يوسف عليه السلام للفتن والشهوات.

المطلب الثالث: براءة سيدنا يوسف عليه السلام وانتصاره على الفتن والإغراءات.

المبحث الثاني: يوسف عليه السلام يحقق القدوة في العفة للشباب المعاصر .

المطلب الأول: عفة يوسف عليه السلام ودورها في تحصين الشباب المعاصر.

المطلب الثاني: الثمار والدروس المستفادة للشباب المعاصر من عفة يوسف عليه السلام.

المطلب الثالث: منهج الإسلام في تربية الشباب على العفة والطهارة.

المبحث الثالث: عوامل ضبط الغرائز ودورها في وقاية الشباب من الوقوع في الفواحش في العصر الحاضر.

المطلب الأول: دور الإيمان والصبر في مواجهة الرذائل، والتغلب على المحن والإغراءات.

المطلب الثاني: مراقبة الله تعالى ودورها في تحصين الشباب من الفتن والشهوات .

المطلب الثالث: دور الصدق والاستقامة والتربية الأخلاقية في وقاية الشباب من الوقوع في الفواحش.

المطلب الرابع: أسباب تدهور التربية الأخلاقية وأثرها في انحراف الشباب المعاصر.

الخاتمة: وتشتمل على أهم ما توصلت إليه من نتائج و توصيات من خلال هذا البحث.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا البحث، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تمهيـــــد

بين يدي سورة يوسف عليه السلام:

سورة يوسف عليه السلام إحدى السور المكية، التي نزلت في فترة حرجة من حياة رسول الله ﷺ والدعوة الإسلامية، «وهي تمثل قصة الصراع بين الفضيلة والرذيلة، مثالا لصراع الغريزة عند النساء، كما تجسد شخصية يوسف عليه السلام مثالا للعفة والطهارة والاعتصام بالله تعالى، فكانت قصة امرأة العزيز مع نبي الله يوسف عليه السلام عبرة لمن يعتبر من النساء، ومثالا لضرورة محاربة النفس وضبطها وضبط غرائزها عند جنوحها إلى مهاوي الشر والرذيلة»[1].

والسورة في جملتها «ترسم جملة من الابتلاءات والعطاءات التي حدثت لنبي الله الكريم يوسف عليه السلام، وهو كما أخبرنا النبي ﷺ عن أخيه يوسف عليه السلام فيما روى عنه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «الْكَرِيْم، ابْنِ الْكَرِيْم، ابْنِ الْكَرِيْم، ابْنِ الْكَرِيْم يُوْسُفُ بْنُ يَعْقُوْبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِمْ السَّلامُ»[2] عليهم جميعا صلوات الله وسلامه» [3].

إن قصة يوسف عليه السلام «من أبرز القصص القرآني، بل ربما كانت أبرزها جميعا، لما بها من عنصر الإثارة والتشويق، مما يدفع القارئ والسامع إلى تتبع أحداثها منذ أول حلقة وحتى المشهد الأخير» [4].

لقد سيقت قصة يوسف عليه السلام كوحدة تامة كاملة، في سورة واحدة اشتملت على معالم المنهج الأخلاقي، والدعوي، والتربوي، والاقتصادي ... وغيرها، وسوف

---

(١) الشخصية النسائية في القصة القرآنية، د. هدى عبد اللطيف عريان، ص٢٥٢ بتصرف، طبع دار غار حراء، سوريا، طبعة أولى، سنة ٢٠٠٥م.

(٢) صحيح البخاري، (٦/ ٤١٧)، كتاب الأنبياء، باب حديث يوسف عليه السلام برقم ٤٦٨٨.

(٣) في ظلال القرآن الكريم، الأستاذ سيد قطب،(٤ / ١٩٥١)، طبع دار الشروق بالقاهرة، الطبعة السادسة عشر سنة ١٩٩٠م.

(٤) مجلة الأزهر الجزء الخامس، السنة ٨٤ أبريل ٢٠١١م، مقال بعنوان «حول قصة يوسف عليه السلام» الشيخ صديق بكر عطية ص٧٠٠ بتصرف، إصدار مجمع الإسلامية بالقاهرة.

نركز الحديث في هذا البحث حول المنهج الأخلاقي، من خلال المشاهد التي تؤكد ذلك في السورة الكريمة، حيث واجه يوسف عليه السلام الكثير من المحن والابتلاءات، كما أنه عانى من صنوف الإغراء ما لا يستطيع مواجهته إلا الخلصون، الذين يضبطون غرائزهم وشهواتهم ابتغاء مرضات الله تعالى، وفي كل محنة كان يوسف عليه السلام يضرب أروع الأمثلة في العفة والنزاهة والطهر والاستقامة والأمانة والاخلاص والصدق والصبر ...، وكان يخرج من كل محنة بمنحة وعطاء؛ ليكون رمزاً وقدوة صالحة للشباب في كل عصر، وكان الله تعالى يؤيده بالنصر ويثبت له البراءة.

و «سنة الله تعالى في الغايات العظيمة الحميدة إذا أراد أن يوصل إليها عبده، هيأ له أسباباً من المحن والبلاء ليكون وصوله إليها كوصول أهل الجنة إليها، وتلك عبرة لا تخفى على دعاة الحق»[1].

وفي قصة يوسف عليه السلام النموذج الحي الواقعي لوقاية الشباب من أسباب وعوامل الانحراف، والصمود في مواجهتها، ورفض الاستجابة لهذه الإغراءات وتجنب المثيرات، وأخذ الحيطة والحذر من الوقوع فيها، لضمان طهارة المجتمع من الفساد والرذيلة بشتى الوسائل، وهذا ما سيأتي مفصلا إن شاء الله تعالى في هذا البحث.

المقصود بالعفة :

«هي كف النفس عن المحارم، وعن ما لا يجمل بالإنسان فعله، والعفة لا تكون إلا إذا وجد الدافع النفسي إلى ما ينافيها، فإذا لم يكن في النفس دافع لما ينافي العفة، أو لم يوجد ما يثير الدافع لم يكن للعفة وجود أصلا»[2]، وقد وصلت العفة أعلى درجاتها في نفس يوسف عليه السلام، مع وجود الأسباب والدوافع للوقوع في الفاحشة، ورغم ذلك

---

(١) تفسير سورة يوسف عليه السلام، الشيخ محمد رشيد رضا، ص٧ بتصرف، طبع مطبعة المنار بالقاهرة سنة ١٩٧٢م.
وانظر: تفصيل ذلك في سورة يوسف دراسة تحليلية، د. أحمد نوفل، ص ١٣ وما بعدها، ط دار العرفان، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩ م، الأردن.

(٢) العفة ومنهج الاستعفاف، الأستاذ يحيى بن سليمان العقيلي، ص٩٥ بتصرف، طبع دار الوفاء بالمنصورة، طبعة ثانية، سنة ١٩٩٢م.

ترفع عن الدناءة والرذيلة، واتخذ العفة منهجاً؛ خوفاً من الله، وثقة في نصره وتأييده؛ لأن العفة هي ثمرة من ثمار الإيمان بالله تعالى، وحاشا ليوسف عليه السلام أن يقدم على فاحشة أو يرتكب ما حرم الله تعالى.

المراد بالشباب وبيان الفئة العمرية المستهدفة من الدراسة :

المستهدف من الفئة العمرية لهذه الدراسة ، هم الشباب الذين في مرحلة الفتوة، وثوران الغريزة الجنسية، وتتراوح بين سن الثالثة عشرة مروراً بسن الخامسة والعشرين، حتى سن الأربعين، وذلك لأهمية مرحلة الشباب للفرد، والدور الذي يلعبه الشباب في بناء الأمم ونهضة المجتمعات.

المبحث الأول

موقف يوسف عليه السلام في مواجهة المحن والإغراء بالشهوات

لقد واجه يوسف عليه السلام سلسلة من المحن والابتلاءات، وتعرض لكثير من الإغراءات والضغوط النفسية الشديدة في حياته، وقد تعامل مع هذه المواقف بحكمة، وأثبت إيمانه ولجوءه إلى الله تعالى في السراء والضراء، مع ثقته في نصر الله تعالى وتأييده، وكان يخرج من كل موقف من هذه المواقف منتصراً؛ لطهره وعفته وصبره على البلاء.

ولعل في هذه المواقف التي مر بها يوسف عليه السلام والإغراءات التي تعرض لها لارتكاب الفاحشة، وتكرار المراودة، والضغوط المختلفة عليه، ما يوضح مدى المعاناة التي عاشها على مر الأيام والشهور والأعوام، حتى فضل وحشة السجن على حياة القصور، والخير على الشر، والمحنة على المنحة، والطهر والعفاف على اللذة والفاحشة، وحياة التقشف على حياة الترف، والفرار من بيئة التهمة والشك ومواضع الفتنة والفساد إلى بيئة البلاء، وقد اختار راحة القلب والروح على راحة الجسد، وبذلك يكون قد اختار أخف الضررين وأهون الشرين، وخرج من هذه المحنة العظمى طاهراً نقياً عفيفاً، ولم يبال بما يواجهه من ضيق السجن ووحشته،

والشعور بالظلم والجبروت والاضطهاد رغم ظهور براءته لأصحاب العقول.

وفي هذا عبرة وعظة للشباب المعاصر لاتخاذ منهج يوسف عليه السلام في مواجهة الرذائل، والفتن والفواحش، وكيفية التغلب عليها، بالبعد عن مواطن الشك والريبة، وغلق باب الفتنة بتجنب المثيرات الجنسية في وسائل الإعلام وغيرها، والصمود والإباء والعفة في إظهار الشباب لقوة إيمانهم في مواقف الفتن والشهوات، وعدم الخضوع للنفس الأمارة بالسوء، والفرار من كل ما يؤثر على دين المسلم وكرامته، وينال من عرضه وشرفه، مع الاستعانة بالله تعالى في كل موقف، مرددا قول وفعل يوسف عليه السلام ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾[1].

وسوف نبدأ بإذن الله تعالى من خلال هذه المطالب التالية بيان المواقف والمحن التي تعرض لها يوسف عليه السلام، ومنهجه في مواجهتها والصمود أمامها حتى أتاه نصر الله وذلك على النحو التالي:

المطلب الأول: تعرض يوسف عليه السلام لفتنة الإغراء.

المطلب الثاني: مواجهة وصمود يوسف عليه السلام للفتن والشهوات.

المطلب الثالث: براءة يوسف عليه السلام وانتصاره على الفتن والإغراءات.

المطلب الأول

تعرض يوسف عليه السلام لفتنة الإغراء

إن الجانب الخلقي في قصة يوسف عليه السلام، والمواقف التي تعرض لها وهو في مرحلة الشباب، وهي مجموعة إغراءات متنوعة وأساليب مختلفة، وسلسلة من المراودات المستمرة ليقع في الانحراف الجنسي، وفاحشة الزنا التي حرمها الله تعالى، إنها فتنة النساء التي قل من ينجو من الوقوع فيها إلا من رحم الله، ولكنه عليه السلام كان النموذج المثالي في تحقيق القدوة الصالحة للشباب في العصر الحاضر.

وتصور لنا الآيات في أسلوب بديع مشاهد القصة في عرض يفيض بالأدب والحياء،

---

(١) سورة يوسف، الآية (٢٣).

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[1].

فبينت لنا هذه الآيات الإغراءات والفتن والشدائد والمحن التي تعرض لها يوسف عليه السلام، وموقفه منها، وسوف نذكر أهمها في ضوء ما سبق من الآيات وذلك في النقاط الآتية :

أولاً: فتنة الشباب في حياة يوسف عليه السلام.

تعرض يوسف عليه السلام وهو في مرحلة الشباب والفتوة، وثوران الغريزة الجنسية إلى مراودة امرأة العزيز، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[2].

إن السياق لم يذكر كم كانت سن امرأة العزيز، وكم كان سن يوسف عليه السلام، فلننظر في هذا الأمر من باب التقدير، فقد كان يوسف عليه السلام غلاما عندما التقطه السيارة، وباعوه في مصر، أي: إنه كان في حوالي الرابعة عشر تنقص ولا تزيد، فهذه هي السن التي يطلق فيها لفظ الغلام، وبعدها يسمى فتى، فشاب، فرجل، وفي هذا الوقت كانت هي زوجة، وكانت وزوجها لم يرزقا أولاداً، فهذا الخاطر خاطر التبني لا يرد على النفس عادة إلا حين لا يكون هناك ولد، ويكون هناك يأس أو شبه يأس من الولد، فلابد أن يكون قد مضت على زواجهما فترة يعلمان فيها أن لا ولد لهما، وعلى كل حال فالمتوقع عن رئيس وزراء مصر، أن لا تقل سنه عن أربعين سنة، وأن تكون سن زوجه حينئذ حوالي الثلاثين، ونتوقع كذلك أن تكون سنها أربعين سنة حينما يكون يوسف في الخامسة والعشرين، أو حواليها، وهي السن التي نرجح أن الحادثة وقعت فيها، نرجحه لأن تصرف المرأة في الحادثة وما بعدها يشير إلى إنها كانت مكتملة جريئة مالكة لكيدها.

---

(١) سورة يوسف، الآية (٢٢-٢٣).
(٢) سورة يوسف، الآية (٢٢).

ولذلك نصل إلى نتيجة معينة وهي «أن التجربة التي مر بها يوسف عليه السلام أو المحنة لم تكن فقط في مواجهة المراودة في هذا المشهد الذي يصوره السياق، وإنما كانت في حياة يوسف فترة مراهقته كلها في جو القصر مع هذه المرأة بين سن الثلاثين وسن الأربعين»[1].

ومعنى «كلمة (الأشد) هي نهاية قوته وشبابه وكمال عقله»[2]، فلفظ (الأشد) يطلق على مرحلة الشباب.

أما اللفظ الآخر الذي يشير إلى شباب يوسف عليه السلام عندما تعرض لهذه الفتن والإغراءات هو لفظ (فتى) في قوله تعالى :﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[3].

«الفتى: الطري من الشباب، والأنثى فتاة، والمصدر فتاء، ويكنى بهما عن العبد والأمة، والفتى من الإبل كالفتى من الناس، وجمع الفتى فتية وفتيان، وجمع الفتاة فتيات»[4]، و«الفتى: الشاب، وقد يراد به الكامل من الشباب»[5].

ومما سبق يتضح لنا: أن المرحلة التي يبلغ فيها الإنسان أشده هي مرحلة الشباب، وهي من أخطر المراحل في عمر الإنسان، والتي تشتمل على فترة المراهقة والاستجابة للإغراءات الجنسية، كما تطلق مرحلة الشباب على لفظ فتى، مما يدل على أن يوسف عليه السلام كان شابا حينما تعرض لسلسلة الفتن والإغراءات للوقوع في الفاحشة والرذيلة من امرأة العزيز والنسوة.

---

(١) في ظلال القرآن، الأستاذ سيد قطب، (٤/ ١٩٧٩)، باختصار، مرجع سابق.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص ٧٥١ بتصرف، طبع مكتبة الصفا بالقاهرة، طبعة أولى سنة ٢٠٠٤م.

(٣) سورة يوسف ، الآية (٣٠).

(٤) المفردات في غريب القرآن، الإمام أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ص٣٧٣ بتصرف، طبع مكتبة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة، الطبعة الأخيرة، سنة ١٩٦١م.

(٥) القاموس القويم للقرآن الكريم، الأستاذ إبراهيم أحمد عبد الفتاح، (٢/ ٧٢) بتصرف، طبع مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، طبعة أولى، سنة ١٩٨٣م.

ومن هنا كانت مرحلة الشباب فتنة لكثير من الشباب إلا من رحم الله.

ثانياً: محنة مراودة امرأة العزيز والنسوة ليوسف عليه السلام.

لقد تعرض يوسف عليه السلام وهو في شبابه للعديد من الإغراءات المتنوعة، والضغوط المكثفة، والأساليب المختلفة من خلال تكرار المراودة من امرأة العزيز، فيكون في قصة يوسف الدروس المستفادة للشباب في العصر الحاضر الذي انتشرت فيه الفتن والرذائل والانحلال الخلقي والاجتماعي وذلك فيما يلي:

١ – الإغراء بتكرار المراودة:

وتصور لنا السورة الكريمة هذا المشهد وهو مراودة امرأة العزيز ليوسف عليه السلام في عدة مشاهد، قال تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (١)، وقوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ (٢).

وجاء أيضا على لسان نسوة المدينة أن امرأة العزيز راودت يوسف عليه السلام عن نفسه، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (٣).

وبعد سنوات اعترفت وأقرت امرأة العزيز أن الحق قد ظهر وأنها قد راودت يوسف عن نفسه، وقد جاء على لسانها في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ

(١) سورة يوسف، الآية (٢٣).
(٢) سورة يوسف، الآية (٢٦).
(٣) سورة يوسف، الآية (٣٠).

حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[1].

وتدل هذه الآيات الكريمة على أن امرأة العزيز قد حاولت بشتى الطرق والوسائل إغراء يوسف عليه السلام للوقوع في الفاحشة، وكررت هذا الإغراء عدة مرات دون كلل أو ملل، مما يدل على طول المحنة التي مر بها يوسف عليه السلام من جراء الإغراء بالمراودة، ومحاولة امرأة العزيز لفت نظره إلى جمالها ومواضع الفتنة في جسدها.

ومدلول كلمة ﴿ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ يدل على «طول المحنة وشدتها، إذ معناها دارت عليه بالحيل، فهو كناية عن المخادعة التي هي لازم معنى: راد يرود إذا جاء وذهب، فقد دارت عليه بكل حيلة، ونصبت له أشراك الخداع، ويلزم منه القصد والإتيان والإقبال والإدبار والرفق والمهلة، وإعمال الحيلة»[2].

لقد كان يوسف عليه السلام يتصرف تجاه هذه الإغراءات والمراودات تصرف الشاب العاقل المؤمن، فيحصن نفسه ويقيها من هذه الفتنة الجارفة والشهوة العارمة، ووسائل الإغراء المتكررة، فيغض بصره عنها ويتجاهل نظراتها وحركاتها، ويحرص أن يبقى بعيدا عنها، رغم وجوده في بيتها.

وهذا يبين لنا «مدى المعاناة النفسية الشديدة التي كان يوسف عليه السلام يعاني منها، والإحراج الشديد الذي كان يشعر به وهو يواجه تبرجها وتهتكها، فيتسلح أمام هذه المعركة الصامتة الرهيبة، بالطهر والعفاف والحياء والإيمان بالله تعالى من جهة، وبين الشهوة المسعورة المتسلحة بسلاح الفتنة والإغراء والتمكن والسلطان من جهة أخرى، وكلما ازداد عليه السلام إعراضا وإباءً، ازدادت إقبالا عليه وشغفا به ، وازدادت تهتكاً وإغراءً»[3].

---

(١) سورة يوسف، الآية (٥١).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الإمام برهان الدين أبي الحسن البقاعي، (١٠/٥٦) بتصرف، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٩٩٥م.

(٣) الوحي والنبوة والعلم في سورة يوسف، الأستاذ عبد الحميد محمد طهماز ص ٤٤ بتصرف، طبع دار العلم، دمشق، طبعة أولى، سنة ١٩٩٠م.

ملكة تعشق فتاها الذي ابتاعه زوجها بثمن بخس، ولكن أين ملكها وسطوة ملكها في تصوير الآية الكريمة ! لم تزد الآية على أن قالت: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ و﴿ ٱلَّتِى ﴾ تدل على كل امرأة كائنة من كانت، فلم يبق على الحب ملك ولا منزلة، وزالت الملكة من الأنثى، وأعجب من هذه الكلمة ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ﴾ وهي بصيغتها المفردة حكاية طويلة تشير إلى أن هذه المرأة جعلت تعترض يوسف عليه السلام بألوان من أنوثتها لونا بعد لون، ذاهبة إلى فن راجعة من فن، لأن الكلمة مأخوذة من – رودان الإبل– تذهب وتجيء في رفق.

وهذا يصور كبرياء الأنثى إذ تختال وتترفق في عرض ضعفها الطبيعي، كأنما الكبرياء شيء آخر غير طبيعتها، ثم قال: ﴿ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ ليدل «على أنها لم تطمع فيه، ولكن في طبيعته البشرية، وكأن الآية مصرحة في أدب سام كل السمو منزه غاية التنزيه بما معناه: أن المرأة بذلت كل ما تستطيع في إغرائه، مقبلة عليه ومتدللة ومبتذلة ومنصبة من كل جهة بما في جسمها وجمالها على طبيعته البشرية، وعارضة كل ذلك عرض امرأة خلعت – أول ما خلعت– أمام عينيه ثوب الملك»[1].

٢ – تهيئة الظروف والبيئة المصرحة بارتكاب الفاحشة :

لقد طال على امرأة العزيز الأمد بالتلميح، واستنفذت جميع أساليب التعريض والتلميح، ولم يعد أمامها لكي تصل إلى مرادها إلا التصريح، فقامت بتغليق الأبواب، ودعت يوسف عليه السلام إلى نفسها قائلة: ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾، وبذلك لجأت بهذه العبارة الواضحة الأبعاد والإحساس بالتصريح برغبتها واندفاع غرائزها دليل على إصرارها على الفاحشة ولفتها النظر ليوسف عليه السلام إلى ما تريده منه لتهيئ الجو

(١) وحي القلم، العلامة الأستاذ مصطفى صادق الرافعي، (١/ ١٠٤ ، ١٠٥) بتصرف، طبع دارالكتاب العربي، بيروت، طبعة ثانية، سنة ١٩٧١م.

للمعصية، لكنه مع ذلك يعرض عنها علها تعود إلى رشدها، وتخاف الله رب العالمين.

وما أبدع قول الإمام القشيري في التعبير بإحساسه عن تصوير هذا الموقف في «ولما غلقت عليه أبواب المسكن، فتح الله له باب العصمة، فلم يضره ما أغلق، بعد إكرامه بما فتح[1] إنها هيأت المكان، وغلقت الأبواب، بعد أن نفذ صبرها وفاض بها الكيل، وانتقلت من التلميح إلى التصريح، وقذفت إلى ميدان المعركة كل ما تملك من أسباب الفتنة والإغراء، وأسباب التمكن والسلطان، وأمرته بالحضور إلى مخدعها، وضربت عليه الحصار، وطوقته بكل ما عند المرأة الأنثى الغنية المترفة من أطواق الإغراء والفتنة، ومن وراء كل ذلك طوقته أيضا بطوق الحصار المادي عندما غلقت الأبواب ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ ﴾ أحكمت إغلاق الأبواب كل الأبواب، وهذا يدل على أن ميدان المعركة كان وراءه عدة أبواب مغلقة[2]، وورد لفظ التغليق بصياغة تستدعي الوقوف عندها قليلا، فلم يقل: «أغلقت «ولم يقل غَلَقت، وإنما أوردها بصيغة التضعيف والتشديد ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾ لإفادة شدة الفعل وقوته أي أغلقت إغلاقا محكما» [3].

وتغليق الأبواب «يدل على أن المكان أصبح خالياً، وهما آمنان من دخول أحد عليهما بسبب تغليق الأبواب، وقد دعته إلى نفسها ليفعل الأمر المكروه، فهو غريب بعيد عن وطنه ومعارفه، وهو أسير تحت يدها، وهي سيدته، وفيها من الجمال ما يدعو إلى ما هنالك، وهو شاب عزب، وقد توعدته إن لم يفعل ما تأمره بالسجن والعذاب الأليم»[4]، وهذا يشعر «أنها لما يئست ورأت منه محاولة الانصراف، أسرعت في ثورة نفسها

(١) لطائف الإشارات، الإمام عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك النيسابوري القشيري، (٣/ ١٧٧) بتصرف، طبع دار الكتاب العربي، القاهرة، سنة ١٩٧١م.

(٢) الوحي والنبوة والعلم في سورة يوسف، الأستاذ عبد الحميد طهماز ص٤٥ بتصرف، مرجع سابق.

(٣) التحرير والتنوير، العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، (١٢/ ٢٥٠) بتصرف يسير، طبع دار سحنون، تونس، سنة ١٩٩٧م.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن السعدي، ص٣٧٤ بتصرف واختصار، مرجع سابق.

مهتاجة تتخيل القفل الواحد أقفالا عدة، وتجري من باب إلى باب وقالت ﴿هَيْتَ لَكَ﴾، ومعناها في هذا الموقف أن اليأس قد دفع بهذه المرأة إلى آخر حدوده، فانتهت إلى حالة من الجنون بفكرتها الشهوانية، ولم تعد لا ملكة ولا امرأة، بل أنوثة حيوانية صرفة، متكشفة مصرحة، كما تكون أنثى الحيوان في أشد اهتياجها وغليانها»[1].

إذن هذه ثلاثة أطوار مرت بها امرأة العزيز: وهي كونها ملكة وأنثى وإنسانة، تخلت عنها جميعاً لما راودت يوسف عليه السلام عن نفسه، ولما غلقت الأبواب، ولما قالت مصرحة: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾.

٣-الإغراء اللفظي المثير للغرائز:

وبعد أن تزينت امرأة العزيز وتجهزت للفاحشة، وتهيأت ليوسف عليه السلام، دعته بأسلوب وألفاظ صريحة مغرية، ودعوى إلى الزنا جريئة متجردة من الإنسانية وحياء الأنثى، دل على ذلك :﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾[2]، و«ها هي امرأة العزيز وقد أخذت زخرفها وازينت، وغلقت الأبواب وخلت إلى يوسف عليه السلام، تناديه بصوت الفتنة الملحة والرغبة الجامحة قائلة: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ أي: تهيأت لك، ويسرت أمامك الطريق لتحقيق ما أرغب فيه وأتمناه، ولتطفئ ما يشتعل في نفسي من الحب والصبابة[3]، وكلمة ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ «وحيدة في القرآن الكريم مادة وصيغة»[4].

٤- الإغراء النفسي بدافع الهيجان الجنسي لدى امرأة العزيز:

قال تعالى مصورا تلك الحالة النفسية التي كانت عليها امرأة العزيز «بعد ما

---

(١) وحي القلم، الأستاذ مصطفى صادق الرافعي، (١/ ١٠٥) بتصرف يسير، مرجع سابق.

(٢) سورة يوسف، الآية (٣٢).

(٣) تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، د. محمد الطيب النجار، ص١٣٩ بتصرف، طبع دار الاعتصام بالقاهرة، طبعة أولى سنة ١٩٧٩م.

(٤) غرر البيان من سورة يوسف عليه السلام في القرآن، الأستاذ أحمد محمود الشوابكة، ص ٥٣ بتصرف، طبع دار الفاروق، عمان، طبعة أولى، سنة ٢٠١٠م.

استنفدت كل ما لديها من مراودة وإغراء وتغليق للأبواب، وغير ذلك مما يدل على العزم والتصميم لارتكاب الفاحشة، وإرواء غريزتها في الحرام: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ أي: بمخالطته، أي قصدت وعزمت عليها عزماً جازماً لا يلويها عنه صارف، بعدما باشرت مقدماتها ومقتضياتها من المراودة، وتغليق الأبواب ودعوته إلى الإسراع إليها بقولها: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾، مما اضطره إلى الهرب منها، ومعنى قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾[1] أي: لولا رؤيته برهان ربه، لهمَّ بها كما همت به، لتوافر الدواعي، ولكنه رأى من تأييد الله له بالبرهان ما صرف عنه السوء والفحشاء، فالآية حينئذ ناطقة بأنه لم يهم أصلا»[2].

وهناك تفسير آخر للهمِّ الذي كان من يوسف عليه السلام، وهو أن يوسف عليه السلام هم بدفعها عن نفسه، ومنعها من ذلك الفعل القبيح الذي تريده منه، لأن الهم هو القصد، فيجب أن يحمل في حق كل منهما على القصد الذي يليق به، فاللائق بالمرأة القصد إلى مضاجعته، أي إلى أن يطأها، واللائق بيوسف عليه السلام القصد إلى زجرها ودفعها عن نفسه ولو بضربها، يقال: هممت بفلان، أي: بضربه ودفعه.

والبرهان الذي رآه «هو ما ألقاه الله في قلبه وأعلمه به أن الامتناع عن ضربها أولى؛ لأنه لو اشتغل يوسف عليه السلام بدفعها عن نفسه لأوهم أنه قصدها بالفاحشة، فامتنعت فضربها، وربما تعلقت به فكان يتمزق ثوبه من قدام، فيكون ذلك شبهة في أنه هو الذي قصدها، وأراد فعل الفاحشة بها، فالله تعالى أعلمه بهذا المعنى، فلا جرم أنه لم يشتغل بدفعها عن نفسه، بل ولى هارباً عنها»[3].

---

(١) سورة يوسف، الآية (٢٤).

(٢) تفسير محاسن التأويل، الإمام محمد جمال الدين القاسمي، (٩/ ٢١٢) بتصرف، طبع دار الفكر العربي، بيروت، طبعة ثانية، سنة ١٩٧٨م.

(٣) مفاتيح الغيب، الإمام فخر الدين الرازي، (١١٨/١٨) بتصرف، طبع دار الغد العربي بالقاهرة، طبعة أولى، سنة ١٩٩٠م.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[1]، «حجة قاطعة على أن يوسف عليه السلام لم يقع منه هم بالمعصية ولا توجه إليها قط، وإلا لقيل: لنصرفه عن السوء والفحشاء»[2]، فيتبين من ذلك أن يوسف عليه السلام لم يقع منه هم بها البتة، بل هو منفي لوجود البرهان الإلهي عنده، ولنفي السوء والفحشاء برمتهما عنه.

٥- الشدة والعنف لإغراء يوسف عليه السلام:

لقد استمرت امرأة العزيز في سلسلة محاولاتها لإغراء يوسف عليه السلام للوقوع في الفاحشة، ولقد لجأت هذه المرأة إلى العنف، ضمن وسائلها الشيطانية السافرة، التي تدل على انحراف الفطرة، وانعدام القيم والأخلاق، والنفس الأمارة بالسوء، فحاولت مطاردة يوسف عليه السلام ومنعه من الوصول إلى الباب، التي أحكمت إغلاقه وهو يريد فتحه والهروب منها، وقد استعملت العنف الدال على سوء نيتها عندما لحقت به عليه السلام وحاولت رده إليها دون جدوى، فمزقت قميصه من الخلف، فكان هذا القميص من الأدلة التي أثبتت و أكدت براءة يوسف عليه السلام، وتصور الآيات الكريمة هذا المشهد في قول الله تعالى: ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ﴾[3].

«يخبر سبحانه عن حالهما عندما خرجا يستبقان إلى الباب، يوسف هارب والمرأة تطلبه ليرجع إلى البيت، فلحقته في أثناء ذلك، فأمسكت بقميصه من ورائه، فقدته قداً فظيعاً، يقال: إنه سقط عنه، واستمر يوسف هارباً ذاهباً، وهي في إثره»[4].

---

(١) سورة يوسف، الآية (٢٤).

(٢) المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، د. عبد الكريم زيدان، (١/ ٢٦٠) بتصرف، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت، طبعة أولى، سنة ١٩٩٧م.

(٣) سورة يوسف، الآية (٢٥).

(٤) مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني، (٢/ ٢٤٧) بتصرف يسير، طبع دار القرآن الكريم، بيروت، طبعة سابعة، سنة ١٩٨١م.

ثالثاً: محنة التهديد بالسجن والحرمان من النعيم :

ولما لم تفلح امرأة العزيز في كل ذلك هددته بالسجن لزيادة الضغط عليه،عله يستجيب لطلبها وتنفيذ أوامرها، ولما لم يستجب لطلبها، قررت إيداعه في السجن لتشفي غليلها، وتعاقبه بأمر لم يرتكبه، وتحافظ على ما تبقى من كرامتها، لكن الصديق يوسف عليه السلام طلب من ربه أن يبعده عن هذه البيئة الخبيثة حتى ولو كان بإلقائه في السجن، لم تكن محنة السجن بالشيء اليسير على نفس يوسف عليه السلام، ولكنها من باب ارتكاب أخف الضررين، ويصور لنا القرآن الكريم هذا المشهد في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾[1].

«إن امرأة العزيز قد عاودت يوسف في المراودة عن نفسه، وتوعدته بالسجن والحبس إن لم يفعل ما دعته إليه، فاختار السجن على ما دعته إليه من ذلك؛ لأنها لو لم تكن عاودته وتوعدته بذلك كان محالا أن يقول: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[2]، وهو لا يدعى إلى شيء ولا يخوف بحبس»[3].

ولقد عصم الله يوسف عليه السلام عصمة عظيمة، وحماه فامتنع منها أشد الامتناع، واختار السجن على ذلك، و «هذا في غاية مقامات الكمال، إنه من شبابه وكماله وجماله

---

(١) سورة يوسف، الآية (٣٠-٣٢).

(٢) سورة يوسف، الآية (٣٢).

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن، الإمام محمد بن جرير الطبري، (٢٠٨/٧) بتصرف يسير، طبع دار الكتب العلمية بيروت، طبعة ثالثة، سنة ١٩٩٩م.

تدعوه سيدته، وهي امرأة عزيز مصر، وهي مع هذا في غاية الجمال والمال والرياسة، ويمتنع من ذلك ويختار السجن على ذلك، خوفا من الله ورجاء ثوابه، ثم ظهر لهم من المصلحة فيما رأوه أنهم يسجنونه إلى حين، أي: إلى مدة، وذلك بعد ما عرفوا براءته وظهرت الآيات – وهي الأدلة على صدقه – في عفته ونزاهته، وكأنهم إنما سجنوه لما شاع الحديث؛ إيهاماً أنه راودها عن نفسها وأنهم سجنوه على ذلك، ولهذا لما طلبه الملك إليه في آخر المدة امتنع من الخروج حتى تتبين براءته مما نسب إليه من الخيانة، فلما تقرر ذلك خرج وهو نقي العرض عليه السلام»[1].

لقد اختار يوسف عليه السلام أخف الضررين وأهون الشرين، فالسجن فيه إضرار ببدنه ونفسه، وما يدعونه إليه فيه إضرار بدينه وخلقه وهو أشد ضرراً وأعظم خطراً من الأول.

ورغم ذلك «لم تستطع هذه المرأة بكل سلطانها وجمالها وأنوثتها أن تنتصر على نبي الله يوسف عليه السلام، الذي لا يزال يعيش قريباً منها في قصرها، وتحت أمرها وسلطانها، وانضم إليها جميع من تعرف من المترفات يعرضن معها كل ما يملكن من أسباب الفتنة وأسباب الوعد والوعيد»[2]، فدل دعاؤه عليه السلام «أن دخوله السجن أسهل عليه وأهون من الوقوع بالمعصية»[3].

الأسباب التي أدت إلى سجن يوسف عليه السلام:

لقد قرروا سجنه بعدما رأوا الآيات القاطعة ببراءته عليه السلام مما قذفته به، والقاضية بعفته، ومن تلك الآيات قد القميص من دبر، وعدم تفنيدها لهذا الدليل، وسكوتها حينما سمعت قول العزيز ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ

(١) مختصر تفسير ابن كثير، (٢/ ٢٤٩) بتصرف يسير، اختصار وتحقيق الشيخ محمد علي الصابوني، طبع دار القرآن الكريم، بيروت، طبعة سابعة، سنة ١٩٨١م.

(٢) الوحي والنبوة والعلم في سورة يوسف، الأستاذ عبد الحميد طهماز، ص ٦٣ بتصرف، مرجع سابق.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، الإمام محمد بن أحمد القرطبي، (٩/ ١٩٠ بتصرف)، طبع دار الحديث بالقاهرة، طبعة ثانية، سنة ١٩٩٦م.

كُنتِ مِنَ ٱلۡخَٰطِـِٔينَ﴾[1]، وحين أباحت سرها إلى النسوة ﴿قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِ﴾[2]، فمن لا يكسوه الحياء ثوبه يرى الناس عيبه، ولذلك «قرروا سجن يوسف عليه السلام؛ إيهاماً إنه هو المذنب، دفعا لمعرة التهمة عنها[3]، وفي إسناد الفعل إليهن دليل على أنهن جميعاً مشتركات في الدعوة بالتصريح أو بالتلويح، ولما كان ذلك حذف ياء النداء في يا رب ليدل على لهفته في الدعاء وضيق المقام» (٤).

من أجل ذلك ضرب يوسف عليه السلام أروع الأمثلة للشباب المعاصر في مواجهة البيئة المستهترة المليئة بالمغريات والمعاصي، وارتكاب الفواحش والمحرمات، وفضل تجنب هذه المغريات التي عرضت عليه وهو كاره لها، رغم أنه في ريعان شبابه وقوته، إلا أنه كان مستمسكا بحبل الله المتين، محافظا على عفته وطهارته مهما كانت المغريات، ومهما كان العقاب، ولو كان إلقاؤه في السجن، وكانت النتيجة: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[5].

المطلب الثاني

مواجهة وصمود يوسف عليه السلام أمام الفتن والشهوات

لقد استعان يوسف عليه السلام في مواجهة هذه الفتن والصمود أمامها بمنهج واضح يعتمد على عدة خطوات، يمكن أن نذكرها فيما يلي:

١ – الاستعاذة بالله تعالى:

لقد أعلن يوسف عليه السلام رفضه لارتكاب الفاحشة منذ اللحظة الأولى، حينما راودته

---

(١) سورة يوسف، الآية (٢٩).

(٢) سورة يوسف، الآية (٣٢).

(٣) غرر البيان من سورة يوسف عليه السلام في القرآن، الأستاذ أحمد محمود الشوابكة، ص٨٠، بتصرف يسير، مرجع سابق.

(٤) بلاغة الحوار في قصة يوسف عليه السلام، د. أمينه سليم، ص٧، بتصرف، طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، سنة ٢٠٠١م.

(٥) سورة يوسف، الآية (٣٤).

امرأة العزيز عن نفسه، فاستعاذ بالله من فعل كل ما يغضب الله، ويبعده عنه ويؤدي إلى سخط الله عليه، قال تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1]. إذ دعته المرأة إلى نفسه وقالت له: (هلم إلي) – أعتصم بالله من الذي تدعوني، وأستجير به منه[2]، فقوله: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾، أي: أعوذ بالله وأستجير به مما دعوتيني وتدعيني إليه[3]، هذه الاستعاذة من يوسف تؤكد أنه لم يستجب لنزغ الشيطان، وأن الله تعالى كما صرف عنه السوء والفحشاء، صرف عنه كيد امرأة العزيز، وكيد النسوة.

إن الآية هنا «نص صريح وقاطع في أن رد يوسف عليه السلام المباشر على المراودة السافرة، كان هو التأبي المصحوب بتذكر نعمة الله، وبتذكر حدوده وجزاء من يتجاوزون هذه الحدود، فلم تكن هناك استجابة في أول الموقف لما دعته إليه دعوة غليظة جاهرة بعد تغليق الأبواب»[4].

وهذه «أسمى طريقة لتنبيه ضمير المرأة في المرأة، إذ كان أساس ضميرها في كل عصر هو اليقين بالله، ومعرفة الجميل وكراهة الظلم»[5].

لقد قام يوسف عليه السلام في مواجهة إغراءات امرأة العزيز بخطوتين:

الأولى: حوارية: وهي من خلال الحديث والرد على المراودة بالاستعاذة بالله والتذكير به.

الثانية: سلوكية: وهي الإسراع بالفرار من موطن الفتنة والفاحشة دون تباطؤ.

---

(١) سورة يوسف، الآية (٢٣).

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن، الإمام محمد بن جرير الطبري، (٧/ ١٧٩) بتصرف يسير، مرجع سابق.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، (٩/ ١٦٣) بتصرف، مرجع سابق.

(٤) في ظلال القرآن، الأستاذ سيد قطب (٤/ ١٩٨١)، مرجع سابق.

(٥) وحي القلم، الأستاذ مصطفى صادق الرافعي، ص١٠٦، بتصرف، مرجع سابق.

فقال عليه السلام: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾. فهو يذكرها بالعاقبة التي تنتظره إن هو استجاب لها، وقد خلا تماما من الإهانة أو الكلام الجارح، مثلما خلا من أي لفظ عاطفي، أو أي لفظ يمكن أن تفهم منه هي أنه تأثر داخلياً، أو إن لديه رغبة أو أي شيء من هذا القبيل؛ مما قد يزيد من درجة اشتعالها وإصرارها.

٢ – رؤية يوسف عليه السلام لبرهان ربه :

من اتقى الله وقاه من الشرور والآثام، ومن عرف ربه في الرخاء عرفه في الشدة، ولذلك حفظ الله تعالى يوسف عليه السلام من الوقوع في الفتنة، أو الاستجابة لإغراءات امرأة العزيز، وظهرت دلائل الإيمان في هذا الموقف الرهيب، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾[1].

٣ – الفرار من موطن الفاحشة :

لقد بادر يوسف عليه السلام وأسرع بالفرار من موطن الريبة، واتجه إلى الأبواب المغلقة طلبا للنجاة مما تريده المرأة، لينأى بنفسه عن الوقوع في الفاحشة، أو الاتهام بذلك، قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[2].

٤ – الدفاع عن النفس لإظهار البراءة ودفع الظلم :

لقد برأ يوسف عليه السلام نفسه مما رمته به امرأة العزيز، وقال: ﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِي﴾ فحينئذ احتملت الحال صدق كل واحد منهما، ولم يعلم أيهما، «ولكن الله

(١) سورة يوسف، الآية (٢٤).
(٢) سورة يوسف، الآية (٢٥).

تعالى جعل للحق والصدق علامات وأمارات تدل عليه، قد يعلمها العباد وقد لا يعلمونها، فمن الله في هذه القضية بمعرفة الصادق منهما تبرئة لنبيه وصفيه يوسف عليه السلام، فبعث شاهدا من أهل بيتها يشهد بقرينة القميص الذي شق من دبر، وكذلك هو دليل على هروبه منها»[1].

بلاغة يوسف عليه السلام :

وتوجهت الأنظار نحو يوسف عليه السلام؛ ليسمعوا ماذا يقول، وبخلاف امرأة العزيز التي أطالت الكلام، اقتصر عليه السلام على أقل عبارة يدافع بها عن نفسه، وتؤدي غرضه، فقال – وعلامات الطهر بادية على محياه – ﴿ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِي ﴾ هي التي طلبت، ولكني لم استجب، محتسبا أمره عند الله تعالى، مؤملا أخذ العدالة مجراها.

وثيقة البراءة من القرائن والأدلة :

﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ ﴾ وهو من أهل المرأة، ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ فصار يوسف عليه السلام في مأمن وصارت هي من الخيبة بمكان، «ولم يضر يوسف عليه السلام أن قدت قميصه، وهو لباس الدنيا، بعد ما صح عليه لباس التقوى، وهكذا أقام الشاهد الحجة عليها، ودحض افترائها مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ ﴾[2]، وكون الشاهد من أقاربها كان أوجب للحجة عليها»[3].

٥- إخلاص العبادة لله تعالى :

وكان نتيجة إخلاص يوسف عليه السلام في عبادته لله تعالى، أن صرف عنه السوء

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص٣٧٤، بتصرف يسير، مرجع سابق.

(٢) سورة فاطر، الآية (٤٣).

(٣) غرر البيان من سورة يوسف عليه السلام في القرآن، الأستاذ أحمد محمود الشوابكة، ص٦٠، بتصرف، مرجع سابق.

والفحشاء، ووقاه من شر البلاء، حين تعرض لهذه المواقف والمحن الصعبة، قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ أي: كما أريناه برهاناً صرفه عما كان فيه، «كذلك نقيه السوء والفحشاء في جميع أموره﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ أي: من المجتبين المطهرين المختارين المصطفين الأخيار»[1]، والمخلصون هم الذين أخلصهم الله لطاعته بأن عصمهم عن ﴿ ٱلسُّوٓءَ﴾ وهو المنكر والفجور والمكروه، ﴿وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ﴾ وهو ما تناهى عن فحشه[2].

ومما سبق يتضح لنا خطوات مواجهة يوسف عليه السلام للفتن والشهوات، التي يحتاجها الشاب أمام المغريات الموجودة ي العصر الحاضر، وسأذكر في ثنايا المبحث في الصفحات القادمة الوسائل التي تساعد الشباب في تحقيق العفة في العصر الحاضر بالتفصيل.

المطلب الثالث

براءة يوسف عليه السلام وانتصاره على الفتن والإغراءات

لقد التزم يوسف عليه السلام بمنهج الصدق في حياته، وأفعاله وسلوكه، حتى شهد له الجميع بالنزاهة والبراءة، ونصره الله تعالى وأيده في أصعب الظروف، وخرج من الفتن المتلاحقة، والشهوات العارمة، والاتهامات المتتالية من امرأة العزيز، وهو في عزة وكرامة وعفة منقطعة النظير.

ثمار براءة يوسف عليه السلام:

- **أول ثمرة:** شهادة من النساء أنهن ما علمن عليه من سوء، وكفى بها شهادة، إذا علمنا إنهن مجال انتشار الأخبار وتداولها، سيما ذات الطابع العاطفي،

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير، (٢/ ٢٤٦)، بتصرف يسير، مرجع سابق.

(٢) تفسير القاسمي، (٩/ ٢١٥) بتصرف، مرجع سابق.

وانظر: فوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ص (٣٨)، «الفائدة الثامنة الإخلاص سبب كل خير»، ط دار القاسم، الرياض، ١٤٢١هـ.

فشهادتهن صك براءته الأول.

- **الثمرة الثانية:** إقرار امرأة العزيز أنها هي التي راودته عن نفسه، وهي الشهادة الأولى لها، وصك البراءة الثاني والأهم له؛ لأنه من الطرف الثاني في القصة برمتها.
- **الثمرة الثالثة:** أن هذه المرأة – وهي التي فعلت ما فعلت – تحترمه وتقدره وتنزه نفسها عن أن تخونه بالغيب ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾.
- **الثمرة الرابعة:** أنها تعلمت درساً قاسياً، وهو أن عواقب الخيانة وخيمة، وان الله تعالى لا يقبل الخائنين، ولا يوفقهم ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾. فصارت منذ هذه اللحظة في الصعود بعد أن كانت من قبل في نزول، وانفتحت عيناها ملياً على حقائق التوحيد.
- **الثمرة الخامسة:** أنها أعلنت توبتها باتهام نفسها دون غيرها، فهي المتهمة، وهي المخطئة، وهي المذنبة، ولم تلتمس لنفسها أي عذر ﴿ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١).
- **الثمرة السادسة:** إفصاحها عن هذه الشخصية التي كانت لها معه تلك المواقف بعد أن خبرته مرارا ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾. فمن رحمه الله لا يتورط في الفاحشة، ويوسف عليه السلام ممن تورع عن التورط، فهو ممن رحمهم الله.
- **الثمرة السابعة:** إنها ربطت مستقبلها بالله تعالى، وجعلت أملها فيه بعد أن أعلنت توبتها، وندمها وبرأت الفتى في غيابه ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ (٢).

وهذه الثمار السبع ما كان ليوسف أن يجنيها «لولا، إنه سلك مسلكاً يدل على أدب

---

(١) سورة يوسف، الآية (٥١، ٥٢).
(٢) سورة يوسف، الآية (٥٢، ٥٣).

الحديث، وطهارة اللسان، وتوفيق الله تعالى له، ونزاهته عن كل ما يشوبه، ولو سلك مسلكاً عدوانياً في الفعل أو الكلام لما جنى هذه الثمار الطيبة»[1].

فضلاً عن الثمرة التي كانت في انتظاره، وهي خلاصة هذه الثمار التي ختمت بها قصته، وهي تمكينه في الأرض، وقيادته لخزائن مصر، وجمع شمله على أسرته فنعم أجر العاملين.

المبحث الثاني

يوسف عليه السلام يحقق القدوة في العفة للشباب المعاصر

توطئة:

بعد أن أرسى يوسف عليه السلام المنهج الحكيم في مواجهة الفتن، وضبط الغرائز والشهوات، وعدم الاستجابة للإغراءات والمثيرات التي تنال من عفة وشرف المسلم، وأن الصبر على طاعة الله تعالى يؤدي إلى النصر والبراءة من كل سوء، وبذلك حقق يوسف عليه السلام القدوة في العفة والنقاء والطهارة للشباب المعاصر.

إن في قصة يوسف عليه السلام وصموده أمام الإغراء: «درس في العفة وفي مغالبة الشهوة والانتصار عليها، مما يُعَدُّ أعظم مثل يمكن أن يقتدي به الكثيرون الذين يبتغون السمو الإنساني، فشهوة الجنس هي تلك القوة العارمة التي يخضع لها الكثير من ضعاف الإيمان، ولكن الانتصار عليها هو مفتاح العظمة الحقيقية، ولا سيما إذا لابستها تلك الظروف والإغراءات والتهديدات التي حصلت ليوسف عليه السلام »[2].

إن الناظر إلى عمق التاريخ البشري يرى القدوة في يوسف عليه السلام، وكأنه يوجه رسالة بليغة إلى شبابنا المعاصر الذي اختلطت عليه الأمور، وكذلك عصر قد فقدت

---

(١) الحوار منهج حياة، د. الحسين زروق، ص٨٠ بتصرف، مرجع سابق.

(٢) مع الأنبياء في القرآن الكريم، د. عفيف عبد الفتاح طبارة، ص١٩١ بتصرف، طبع دار العلم للملاين، بيروت، طبعة رابعة بدون.

فيه القدوة الصالحة.

وللأسف ترك بعض أولياء الأمور المسؤولية تجاه تربية أبنائهم، ومن هنا أصبح الذي يسهم في تربية شبابنا بعض الإعلام الموجه بالفساد، وكذلك المناهج الدراسية، وعدم الاهتمام بالتعاليم الدينية، ومما سبق غابت القدوة وغابت العفة.

«إن الصورة المشرقة في العفة والاستعلاء على الرذيلة يجب أن تكون حاضرة في الأذهان، ولا سيما أذهان الشباب، وأن يتذكروها ولا ينسوها، ويستحضروها كلما أحسوا بتزيين الشيطان لهم فعل الفاحشة، أو الاقتراب منها»[1].

مما سبق يتضح لنا أن يوسف عليه السلام كان القدوة الناجحة في العفة، ونموذجاً لشباب هذا العصر.

المطلب الأول

عفة يوسف عليه السلام ودورها في تحصين الشباب المعاصر

تعريف العفة لغة واصطلاحاً:

تعريف العفة لغة :

العفة: هي الكف عما يحل ويجمل، وعف عن المحارم والأطماع الدنية، والاستعفاف: طلب العفاف، وهو الكف عن الحرام والسؤال من الناس، أي: من طلب العفة وتكلفها أعطاه الله إياها.

وقيل: الاستعفاف: الصبر والنزاهة عن الشيء، وقيل العفيفة من النساء السيدة الخيرة، وامرأة عفيفة أي: عفة الفرج[2].

---

(١) المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، د. عبد الكريم زيدان، ج ١ ص ٢٩٣، بتصرف، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت، طبعة أولى، سنة ١٩٩٧م.

(٢) لسان العرب لابن منظور، (٤/ ٣٠١٥) بتصرف، مرجع سابق.

وجاء في المفرادات: العفة: حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة، والمتعفف: المتعاطي لذلك بضرب من الممارسة والقهر[1]، فالعفة والعفاف هو: التنزه والكف عن الحرام، والإنسان العفيف هو الذي يعف فرجه من الوقوع في الحرام والفواحش، وكل ما يؤدي إلى ذلك من مقدمات، كالنظر والخلوة والتكسر في الكلام والاختلاط، وغيرها.

العفة اصطلاحاً:

العفة: هي كف النفس عن المحارم، وعن ما لا يجمل بالإنسان فعله، والعفة لا تكون إلا إذا وجد الدافع النفسي إلى ما ينافيها، فإذا لم يكن في النفس دافع لما ينافي العفة، أو لم يوجد ما يثير الدافع لم يكن للعفة وجود أصلاً[2].

وقد وصلت العفة أعلى درجاتها في نفس يوسف عليه السلام، مع وجود الأسباب والدوافع للوقوع في الفاحشة، ورغم ذلك ترفع عن الدناءة والرذيلة، واتخذ العفة منهجاً؛ خوفاً من الله، وثقة في نصره وتأييده؛ لأن العفة هي ثمرة من ثمار الإيمان بالله تعالى، وحاشا ليوسف عليه السلام أن يقدم على فاحشة أو يرتكب ما حرم الله تعالى.

لقد ضرب يوسف عليه السلام أروع الأمثلة للشباب المعاصر في الطهارة والعفة والنقاء، وما من قصة من قصص القرآن اشتهرت في هذا النموذج الحي مثل قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز، فقد امتحن امتحاناً صعباً لا يستطيع مواجهته إلا قوي الإيمان، طاهر النفس، المراقب لله تعالى، الذي وصل إلى درجة الإحسان.

الوسائل التي تساعد الشباب على تحقيق العفة في العصر الحاضر:

أولاً: التربية الإيمانية: فالأساس الأول هو أن يربي الإنسان نفسه إيمانياً، وأن

---

(١) المفردات في غريب القرآن، للإمام أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ص ٣٣٩، بتصرف، طبع مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة مصر، الطبعة الأخيرة، سنة ١٩٦١م.

(٢) العفة ومنهج الاستعفاف، الأستاذ يحيى بن سليمان العقيلي، ص٩٥، بتصرف، طبع دار الوفاء بالمنصورة، طبعة ثانية، سنة ١٩٩٢م.

يقوي صلته بالله تعالى، وأن يشعر بـأن الله تعالى يـراه في السـر والعلن، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ﴾[2].

ومن هذه الوسائل التي حث عليها الإسلام ما يلي:

- **الصيام:** فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الْشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالْصّوْمِ؛ فَإِنّهُ لَهُ وِجَاءٌ»[3]، فالصوم يخفف من حدة الشهوة، ويهذب الغرائز الحيوانية التي تدفع كثيراً من الشباب إلى الضياع والانحراف، وتبدد ما فيهم من طاقة وحيوية ونشاط.
- **تحويل المعتقد الإسلامي:** في ذات الله وأسمائه وصفاته، وكذلك في وجود الجنة والنار إلى معان محسوسة في النفس، مثلاً: أن يعلم من معنى السميع: أن الله تعالى يسمع كلامه، وأن يعلم أن البصير: أن الله يبصر حركاته، وأن يعلم أن الله شديد العقاب: إنه يعاقب على المعصية، وأن الجنة وما فيها أعدت للطائعين، وأن النار أعدت للعاصين. فهذه الأسماء والصفات لابد وأن يتربى عليها المسلم، وأن يشعر بمعناها، فيحفظ جوارحه عما حرم الله، سمعه، وبصره مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[4].
- **الإكثار من ذكر الله تعالى:** ليحدث الوجل والخوف من الله تعالى، ويتربى الضمير على طاعة الله، ويمتلئ القلب بالراحة والسكينة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ

---

(١) سورة الأنعام، الآية (٣).
(٢) سورة غافر، الآية (١٩).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب قول النبي ﷺ: «من لم يستطع الباءة فليصم»، حديث رقم ٤٧٨٠.
(٤) سورة الإسراء، الآية (٣٦).

ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[1]، وذكر الله يطمئن القلب ويهديه قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[2].

ثانياً: التربية الأخلاقية:

إن في العفة جملة من الأخلاق الرفيعة العالية، فنجد فيها الصبر على حر الشهوة طلباً للثواب العظيم، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[3]، وفي العفة: الخوف من عذاب الله، وطلب كمال الإيمان، قال رسول الله ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِيْنَ إِيْمَاناً: أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً، وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ»[4].

ثالثاً: تجنب المثيرات الجنسية :

وهي أن يتجنب الإنسان المثيرات، وذلك بأن يبتعد عن مواطن الشبهات والبيئة الفاسدة، وأوساط المثيرات الجنسية، ويكون ذلك بغض البصر وعدم الاختلاط بالنساء والمواضع التي يكثرن بها، كالأسواق وغيرها، والتورع عن كل ما من شأنه أن يعرض الإنسان للمثيرات الجنسية.

رابعاً: الصحبة الصالحة :

إن الصحبة الصالحة تعين المسلم على أن يحفظ بصره، وأن يحفظ فرجه، وإن لم يستح من الله فإنه سيستحي من الصحبة الصالحة، الذين هم حوله، والذين يذكرونه إذا نسي، ويعينونه إذا تذكر؛ مصداقاً لقوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟

---

(١) سورة الأنفال، الآية (٢).
(٢) سورة الرعد، الآية (٢٨).
(٣) سورة الزمر، الآية (١٠).
(٤) سنن الترمذي: باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، حديث رقم ١١١٨.

ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[1]، ولقول رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيْسِ الْصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ الْسَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيْحا طَيِّبَةً، وَنَافِخِ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيْحا خَبِيْثَةً»[2].

فجليس الأخيار إما أن يعطى بمجالستهم من الفيوضات الإلهية أنواع الهبات فضلاً من الله وإحساناً، وإما أن يكسب بمجالستهم علوماً وآداباً وأخلاقاً يستفيدها منهم ويأخذها عنهم،وإما أن يكتسب بمصاحبتهم حسن الثناء وجميل الأحدوثة.

و«جليس الأشرار إما أن يحترق بشؤم معاصيهم من جراء مجالستهم ومصاحبتهم والركون إليهم، وإما أن تدنس سمعته، وتقبح بين الناس سيرته»[3].

المطلب الثاني

الثمار والدروس المستفادة للشباب المعاصر من عفة يوسف عليه السلام

إن ثمار العفة في موقف يوسف عليه السلام متنوعة، ففيها النجاة من الفواحش وأضرارها، وفيها طهارة للفرد والمجتمع من دنس الرذيلة، والعفة تدل دلالة واضحة على الإيمان الكامل والثقة في الله تعالى، ومراقبته في السر والعلانية، فلا يرتكب المسلم معصية حرمها الله تعالى، ولا يقدم على فعل فاحشة أو إثم يسجل عليه، ويعرضه لغضب الله وسخطه، كما أن العفة يترتب عليها الثواب العظيم، ومضاعفة الأجر والكرامة والعزة في الدنيا والآخرة.

يقول الإمام ابن القيم: «وبما أن يوسف عليه السلام قد استعاذ بالله من القيام بذلك الفعل، وهذه الفاحشة التي تدعوه إليها امرأة العزيز، فهذا يدل على علمه وتيقنه من مراقبة

---

(١) سورة التوبة، الآية (١١٩).

(٢) صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين، رقم ٤٨٦٩.

(٣) هداية المرشدين، الشيخ على محفوظ، ص (١٩) وما بعدها بتصرف، ط دار الاعتصام، ط خامسة ١٩٥٢م، القاهرة.

الله تعالى ، والخوف من عقابه؛ لأن المراقبة هي دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه، فاستدامته لهذا العلم واليقين هي: المراقبة، وهي ثمرة علمه بأن الله تعالى رقيب عليه ، ناظر إليه، سامع لقوله، وهو مطلع على عمله كل وقت وكل لحظة ، وكل نفس وكل طرفة عين، وقد قيل: من راقب الله في خواطره، عصمه في حركات جوارحه»[1].

ويمكن إجمال فوائد وثمرات العفة فيما يلي [2]:

١ – النجاة من أضرار ارتكاب الفواحش (عقوبات ربانية – أضرار اجتماعية – مرضية – خلقية – نفسية ، وغيرها).

٢ – النجاة من الفواحش.

٣ – سبب لسلامة الفرد والمجتمع من الشرور والآفات، وانتشار الفساد والأمراض.

٤ – البعد عن سخط الله وعقابه.

٥ – تحقيق عفة الأهل والمحارم.

٦ – العفيف في ظل عرش الرحمن يوم القيامة.

٧ – ضمان النبي ﷺ للعفيف دخول الجنة.

٨ –مضاعفة الثواب للعفيف.

٩ – العفة كرامة في الدنيا ونجاة من النار.

١٠ – الاستعفاف سبيل إلى الزواج المثالي.

١١ – الاستعفاف برهان على الصبر.

١٢ – العفة صون للأسرة.

١٣ – تحقيق كمال الإيمان.

---

(١) مدارج السالكين، الإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، (١/ ٤٩٥ بتصرف)، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٩١م .

(٢) موقع صيد الفوائد على شبكة الانترنت.

يوسف عليه السلام يعلم الشباب دروسا في العفة في العصر الحاضر:

ويمكن تلخيص بعض هذه الدروس فيما يلي:

١ – ما ركب الله سبحانه وتعالى في طبع الرجل من ميله إلى المرأة، كما يميل العطشان إلى الماء، والجائع إلى الطعام، حتى إن كثيرا من الناس يصبر على الطعام والشراب، ولا يصبر على النساء، وهذا لا يذم إذا صادف حلالاً، بل يحمد.

٢ – أن يوسف عليه السلام كان شاباً و شهوة الشاب وحدته أقوى.

٣ – إنه كان عزباً لا زوجة له ولا سرية تكسر حدة الشهوة.

٤ – أنه كان في بلاد غريبة، يتأتى للغريب فيها من قضاء الوطر ما لا يتأتى لغيره في وطنه، وبين أهله ومعارفه.

٥ – أن المرأة كانت ذات منصب وجمال، بحيث أن كل واحد من هذين الأمرين يدعو إلى مواقعتها.

٦ – أنها غير أبية ولا ممتنعة، فإن كثيراً من الناس يزيل رغبته في المرأة إباؤها وامتناعها، لما يجد في نفسه من ذل الخضوع والسؤال لها، وإن كان كثير من الناس يزيده الإباء والامتناع زيادة حب، كما قال الشاعر:

وزادني كلفا في الحب أن منعت أحب شيء إلى الإنسان ما منعا

أنها طلبت وأرادت وبذلت الجهد، فكفته مؤونة الطلب، وذل الرغبة إليها، بل كانت هي الراغبة الذليلة، وهو العزيز المرغوب فيه.

٧ – أنه في دارها وتحت سلطانها وقهرها، بحيث يخشى إن لم يطاوعها، من أذاها له فاجتمع داعي الرغبة والرهبة.

٨– أنه لا يخشى أن تنمَّ عليه هي، ولا أحد من جهتها، فإنها هي الطالبة والراغبة، وقد غلقت الأبواب، وغيبت الرقباء.

٩ – أنه كان مملوكاً لها في الدار بحيث يدخل ويخرج ويحضر معها، ولا ينكر عليه وكان الأنس سابقاً على الطلب، وهو من أقوى الدواعي، كما قيل لامرأة من

العرب ما حملك على كذا ؟ قالت: قرب الوساد، وطول السواد[1].

١٠ – إنها استعانت عليه بائمة المكر والاحتيال، فأرته إياهن، وشكت حالها إليهن، لتستعين بهن عليه، فاستعان هو بالله عليهن، فقال: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[2].

١١ – أنها توعدته بالسجن والصغار، وهذا نوع إكراه إذ هو تهديد ممن يغلب على الظن وقوع ما هدد به، فيجتمع داعي الشهوة وداعي السلامة من ضيق السجن والصغار.

١١ – أن الزوج لم يظهر من الغيرة والقوة ما يفرق به بينهما، ويبعد كلا منهما عن صاحبه، بل كان غاية ما خاطبهما به أن قال ليوسف عليه السلام: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ ، وللمرأة: ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾، وشدة الغيرة للرجل من أقوى الموانع، وهذا لم تظهر منه غيرة[3].

مما سبق يتضح لنا الثمار والدروس المستفادة من عفة يوسف عليه السلام لتكون نبراساً للشباب المعاصر.

المطلب الثالث

منهج الإسلام في تربية الشباب على العفة والطهارة

في ضوء ما حققه يوسف عليه السلام في العفة والنزاهة والطهر والاستقامة ليكون النموذج و المثل والقدوة الصالحة للشباب المعاصر، نجد أن الإسلام بمنهجه الحكيم دعا إلى

---

(١) تعني: قرب وساد الرجل من وسادتي، وطول السواد بيننا.

(٢) سورة يوسف، الآية (٣١).

(٣) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، الإمام ابن قيم الجوزية، دار المعرفة – المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، ص ٢٠٨ – ٢١٠.

تربية الشباب على العفة والطهارة ، قال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾[1].

يوجه الإسلام الشباب إلى العفة وحفظ الفرج؛ لأن الإشباع الجنسي السوي في الإسلام يتم من خلال الزواج، وما عدا ذلك انحراف عن الفطرة السليمة والمنهج الإسلامي الرشيد، يعرض الإنسان إلى سخط الله تعالى، وعقابه في الدنيا والآخرة.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا ظَهَرَ الْزِّنَا وَالْرِّبَا فِيْ قَرْيَةٍ فَقَدْ أَحَلُّوْا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللهِ»[2]، فإن الإنسان الخائف من ربه يختصه الله سبحانه وتعالى بفضله ورحمته ويجعل له جنتين؛ مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[3]، ويقول النبي ﷺ في الحديث القدسي: «يَقُوْلُ اللهُ: أُخْرِجُوْا مِنْ الْنّارِ مَنْ ذَكَرَنِيْ يَوْمًا أَوْ خَافَنِيْ فِيْ مَقَامٍ»[4]، والمؤمن إذا حفظ نفسه وفرجه، وحفظ عرض غيره، حفظه الله في نفسه وأسرته ومحارمه، ولذلك كان النبي ﷺ يسأل الله العفاف فيقول: «اللّهُمّ إِنّيَ أَسْأَلُكَ الْهُدَىَ وَالْتُّقَىْ، وَالعَفَافِ وَالْغِنَى»[5].

فهذه رسالة موجهه لشباب عصرنا الحاضر بالحرص على العفة كما يفهم من دعاء النبي ﷺ.

من هنا كانت العفة في الإسلام هي صمام الأمان لحفظ كيان الأسرة، والعفة أيضاً سبيل الزواج المثالي، ودليل على الصبر ليهنأ الرجل العفيف والمرأة العفيفة بزواج تتحقق فيه المودة والرحمة والسكن والإخلاص والسعادة الزوجية، ويتحقق الإيمان وكرامة الإنسان، وهي مكافأة لأصحاب العفة من الرجال والنساء في الدنيا، كما أن

---

(١) سورة المؤمنون، الآية (٥-٦).

(٢) المستدرك على الصحيحين، (٣/ ٣٧)، كتاب البيوع، وصححه الإمام الحاكم، ووافقه الحافظ الذهبي.

(٣) سورة الرحمن، الآية (٤٦).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في أن للنار نفسين، رقم ٢٥٨٢، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٧ ص٤٠، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الأدعية، حديث رقم ٥٠٠٥.

المكافأة الكبرى في الآخرة هي ظل عرش الرحمن، ومضاعفة الثواب في الآخرة؛ لأن الجزاء من جنس العمل.

المبحث الثالث

عوامل ضبط الغرائز ودورها في وقاية الشباب من الوقوع في الفواحش في العصر الحاضر

إن قوة الإيمان بالله تعالى تعد من الركائز الرئيسة، والمقومات النفسية، التي تدفع الشباب والفتيات لمواجهة الانحرافات الخلقية وتساعدهم للتغلب على المحن والإغراءات، وتجنبهم من الوقوع في المعاصي.

لقد وقف يوسف عليه السلام صامداً كالطود العظيم، أمام العاصفة الهوجاء، ولجأ إلى الله مستعينا بقوته؛ لتخليصه من الفتن المشتعلة التي تحيط به، معترفاً بالعجز الإنساني أمام جبروت الفتنة وطغيانها، والضعف البشري أمام تسلط الشيطان وإغوائه، و«هو استلهام للقوة من الله، الذي يوجه أولياءه إلى الخير، ويحصن أنبياءه بالعصمة، وقد استجاب الله دعاءه، وكانت الاستجابة الإلهية سريعة لدعوة المظلوم التي تفتح لها أبواب السماء، فليس بينها وبين الله حجاب، خاصة إذا كانت من نبي كريم، فصرف عنه كيد النساء ووقاه من مكرهن، وبعيداً عن لؤم الناس وغدرهم وخيانتهم ومكرهم، فازدادت روحه صفاءً وسمواً، وازداد إلى الله قرباً، وارتفع لديه قدراً، ثم منحه الله نعمة النبوة وأتاه العلم والحكمة؛ جزاء على إخلاصه؛ وثمرة لصبره وإيمانه»[1].

إن النكبات والمحن التي يتعرض لها الإنسان خاصة إذا كانت شديدة وقاسية كالتي تعرض لها يوسف عليه السلام والتي كان أقلها دخوله السجن ظلماً وعدواناً جزاء عفته وأمانته، وطهارته، و«هذه الأمور تلقي في النفوس ضعيفة الإيمان اليأس والقنوط

(١) تاريخ الأنبياء، د. محمد الطيب النجار، ص ١٤٣ بتصرف، مرجع سابق.

بقيم الحق والعدالة، وتحث على الوقوع في الشر والرذيلة، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث ليوسف عليه السلام الذي ظل صامداً على مبادئه، صابراً على البلاء، منتظراً زوال المحنة، مؤمنا بالله وعدله، فلم تزحزحه المصائب عن إيمانه، ولم تؤثر في صبره وثقته في الله، وقد بين للناس جميعا جزاء عاقبة الصبر الذي تحلى به بقوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾»[1][2].

والصبر قوة نفسية إيجابية، تدفع المتصف بها إلى مقاومة كل أسباب الضعف والذلة والاستسلام، كما تدفعه إلى الثبات بقوة أمام المصائب والفتن والمغريات، فالصبر ضروري للمسلم، يجب أن يتحلى به، وبكل أنواعه: الصبر على طاعة الله، والصبر عن محارم الله، والصبر على أقدار الله المؤلمة، ويوسف عليه السلام التزم بأنواع الصبر الثلاثة، فأعطاه الله القوة للتغلب على المحن والإغراءات التي تعرض لها.

المطلب الأول

دور الإيمان والصبر في مواجهة الرذائل والتغلب على المحن والإغراءات

الصبر والمثابرة مرتبطان بقوة الإرادة، فالشخص الصابر قوي الإرادة، لا تضعف عزيمته، ولا تثبط همته مهما لقي من مصاعب وعقبات، وبقوة الإرادة يتمكن الإنسان من إنجاز الأعمال العظيمة وتحقيق الأهداف العالية، وإذا تعلم الإنسان الصبر على تحمل مشاق الحياة، ومصائب الدهر والصبر على أذى الناس وعداوتهم، والصبر على عبادة الله وطاعته، وعلى مقاومة شهواته وانفعالاته، والصبر على العمل والإنتاج، «فإنه يصبح إنساناً ذا شخصية ناضجة متزنة متكاملة منتجة فعالة،

(١) سورة يوسف، الآية (٩٠).

(٢) مع الأنبياء في القرآن الكريم، الأستاذ عفيف عبد الفتاح طبارة، ص١٩٢ بتصرف واختصار، مرجع سابق.

ويصبح عصياً على القلق، وفي مأمن من الاضطرابات النفسية»[1].

وقد وضح النبي ﷺ أن البلاء ينزل بالعبد على قدر الإيمان، فقال: «إِن أَشَد النّاس بَلَاء: الأَنْبِيَاء، ثُم الْأَمْثَل فَالْأَمْثَل، يُبْتَلَى الْمَرْء عَلَى قَدْر دِيْنِه»[2].

فالابتلاءات تصقل الإنسان وتظهر قدراته، وقوة إرادته وتحمله وقوة إيمانه، ومن هنا كان دور الإيمان والصبر، وأهميتهما في التغلب على المحن والوقاية من الانحرافات؛ ولذلك وعد الله تعالى المؤمنين والمؤمنات بحفظهم لفروجهم، واتباع الشرع الحكيم في تصريف الغريزة عن طريق الزواج.

المطلب الثاني

مراقبة الله تعالى ودورها في تحصين الشباب من الفتن والشهوات

إن مراقبة الله تعالى في السر والعلن هي مفتاح الخير للمسلم، وهي حصنه المنيع ضد نفسه الأمارة بالسوء، ودنياه المليئة بالفتن والأهواء والمغريات وغيرها من مظاهر البعد عن الله تعالى، والمراقبة هي: درجة عالية من درجات الإيمان، وهي: درجة الإحسان التي قال عنها النبي ﷺ: «أَن تَعْبُد الله كَأَنّك تَرَاه، فَإِن لَم تَكُن تَرَاه فَإِنّه يَرَاك»[3].

إن يوسف عليه السلام حقق القيم الإسلامية قولاً وعملاً وسلوكاً، فكان قدوة حسنة للشباب المعاصر في الإخلاص والأمانة ومراقبة الله تعالى، وفي الشجاعة منقطعة النظير في قول الحق والثبات على المبدأ، وفي العفة والكرامة، وعزة المؤمن التي يجب

(١) القرآن وعلم النفس، د. محمد عثمان نجاتي، ص٢٩٧ باختصار، طبع دار الشروق بالقاهرة، الطبعة السادسة، سنة ١٩٩٧م.

(٢) السنن الكبرى للنسائي، كتاب الطب، أي الناس أشد بلاء، برقم ٧٢٣٨.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل للنبي ﷺ عن الإيمان، حديث رقم ٥٠.

أن يتمسك بها في كل أحواله وشؤون حياته، وقد ظهر ذلك جلياً عندما عرضت امرأة العزيز نفسها عليه في سفاهة وابتذال، وكشف لستر الحياء، فنجده قد واجه ذلك بالثبات والعفة فقال: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾.

حقيقة المراقبة ودرجاتها:

إن حقيقة المراقبة «هي: ملاحظة الرقيب وانصراف الهم إليه، ومراعاة جانبه، والمراقبة هي حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة، وتثمر تلك الحالة أعمالاً في الجوارح وفي القلب، فإنهم يرون الله في الدنيا مطلع عليهم فلا يحتاجون إلى انتظار القيامة»[1].

ولذلك فإن تعليم الشباب «بالمراقبة الإلهية لهم في كل أعمالهم وأحوالهم وأقوالهم وسلوكهم، ومحاسبتهم على كل ما يقومون به، وما يتلفظون به، ينمي فيهم الإيمان من خلال تنمية الجوانب العقلية، التي تمكنهم من محاكمة ومحاسبة أنفسهم، في ضوء ما يعرفون من تلك المراقبة والمحاسبة، كما أن تلك المراقبة الدائمة تنمي الجوانب الوجدانية لدى الشباب، فينمو لديهم الخوف من الله، فيجتنبوا المعاصي كلها خوفاً من ربهم»[2].

تأثير الإيمان ومراقبة الله تعالى في الوقاية من الانحرافات الجنسية للشباب المعاصر.

إن الإيمان بالله تعالى ومراقبته يحصن المؤمن من الانحرافات الجنسية، ويضبط غرائزه، ويرتب دوافعه، وحاجاته الضرورية، ويكون من فقه الأولويات لديه تقديم دافع التدين وإشباعه، على إشباع دافع الجسد، ويتمكن من خلال الإيمان الذي ملأ قلبه والمراقبة لله تعالى أن يقدم الطاعة على المعصية، وفي المواقف التي تتوافر فيها

(١) إحياء علوم الدين، الإمام أبو حامد الغزالي، (٤/ ٣٩٨ ، ٣٩٩) بتصرف، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة أولى، سنة ١٩٨٦م.

(٢) مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، د. يسري أحمد، ص ٣١٨، إصدار مجلس النشر العلمي، العدد (٦٨)، مارس ٢٠٠٧م، مرجع سابق.

المثيرات الجنسية، ويلتزم بالصبر على عدم اقتراف ما حرم الله عليه، وبذلك يؤدي الإيمان دوره في ضبط الدوافع والتحكم في الغرائز، وتوجيهها في الاتجاه الصحيح، وتصريفها في الطرق المشروعة وهي الزواج.

أما «عدم الإيمان ومراقبة الله تعالى، والخوف من جلاله وعظمته، وتناسي يوم الوعيد والحساب، فإنه يؤدي إلى إحداث الاختلال في التوازن في منظومة إشباع الدوافع وضبطها والتحكم فيها، «وإذا فشل الإنسان في ضبط دوافعه، والتحكم فيها فأسرف في إشباعها وانغمس في لذاتها، وجعل الحصول على لذة الإشباع هدفا في ذاته انحرفت الدوافع عن أهدافها الحقيقية، فلم تعد بعد وسيلة لاستمرار حياة الفرد وبقاء النوع، وإنما أصبحت غاية في ذاتها، ولم يعد الإنسان هو المسيطر عليها والمتحكم فيها، وإنما أصبحت هي المسيطرة عليه والمتحكمة فيه»[1].

يوسف عليه السلام يحقق الشخصية السوية للشباب المعاصر في مراقبة الله تعالى :

لقد ضرب يوسف عليه السلام للشباب المعاصر النموذج الحي في مراقبة الله تعالى، والخوف من جلاله، ولذلك حفظه الله عليه السلام من كل سوء ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[2]، وكان يستشعر وجود الله تعالى واطلاعه عليه في حركاته وسكناته وخلواته فتورع عن ارتكاب ما حرم الله عليه، وفي أحلك الظروف وأصعبها على نفس الإنسان وهي مواجهة فتنة الشهوة والنساء، قال: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ تورعاً، وقد حفظته مراقبة الله تعالى.

إن يوسف عليه السلام «قد استعاذ بالله من القيام بذلك الفعل، وهذه الفاحشة التي تدعوه إليها امرأة العزيز، فهذا يدل على علمه وتيقنه من مراقبة الله تعالى، والخوف من عقابه، «فكل ما خالف مراد الله عز وجل الديني من العبد هو حظه وشهوته، مالاً كان،

(١) القرآن وعلم النفس، د. محمد عثمان نجاتي، ص٦٧، بتصرف، مرجع سابق.
(٢) سورة يوسف، الآية (٦٤).

أو منصب، وأن مراد الله أولى بالتقديم منه»[1]، ودلت الاستجابات الداخلية على بعدين آخرين من شخصيته، هما : البعد العقلي المعرفي، والبعد الوجداني الروحي.

البعد العقلي المعرفي: وقد تمثل في رؤيته لبرهان ربه ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

أما البعد الوجداني الروحي: فقد تمثل في لجوئه بالدعاء إلى ربه: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾.

وهناك ثلاثة عناصر إيمانية لها تأثير مباشر في الكف عن السلوك المنحرف :

العنصر الأول: هو الاقتناع بوجود الله تعالى، وعلمه بكل ما يقوم به الإنسان.

العنصر الثاني: هو اليقين بمحاسبة الله تعالى للناس على أعمالهم، وما يترتب على ذلك الحساب من ثواب وعقاب.

العنصر الثالث: هو القدرة على الالتزام ببرنامج عملي يتجنب المؤمن من خلاله كل ما نهى الله عنه، ويمارس من خلاله كل ما أمر الله به، وذلك استناداً على علمه بوجود الله، وخوفاً من عذابه وعقابه، وطمعاً في ثوابه.

ولذلك «تتولد حالة من المراقبة الدائمة لدي المؤمن والتقيم الفوري لكل سلوك قبل أن يشرع فيه، فيتجنب كل ممنوع، ويمارس كل مرغوب فيه؛ ولذلك سوف يتجنب الانحرافات الجنسية بالقطع؛ لأنها من الممنوعات التي حرمها الله، ورتب العذاب والعقاب لمرتكبيها، ووعدهم بسوء المصير»[2].

---

(١) مدارج السالكين، الإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، (١/ ٤٩٥ وما بعدها بتصرف)، طبع دار الفكر، بيروت، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٩١م.

(٢) التدين والصحة النفسية، د. صالح بن إبراهيم الصنيع، ص٤٥ وما بعدها بتصرف، طبع مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، طبعة أولى، سنة ٢٠٠٠م.
وانظر: قصص الأنبياء، عبدالوهاب النجار، ص (١٥٧)، محنة يوسف، ط دار الجيل، بيروت، طبعة ثانية.

فعلى الشباب المؤمن أن يتعلم هذه الدروس والعبر من يوسف عليه السلام، لتحقيق الشخصية السوية البعيدة عن الانحراف، وأن يستشعروا مراقبة الله تعالى في أقوالهم وأفعالهم وكل سلوكهم في الحياة.

المطلب الثالث

دور الصدق والاستقامة والتربية الأخلاقية في وقاية الشباب من الوقوع في الفواحش

لقد كان من أبرز الصفات التي تحلى بها يوسف عليه السلام: الصدق والاستقامة، وقد ظهر ذلك جلياً من خلال مواقفه في مواجهة المحن والصمود أمام الباطل؛ مما كان له أكبر الأثر في وقايته من الفتن والفواحش.

إن الصدق دليل على الثقة في الله تعالى، وإنه مالك الملك، وأن الأمر بيده وحده لا شريك له، فلا يلجأ إلى الكذب خوفا من ضرر يصيبه، ولا يلجأ إلى الكذب مهما أحاطت به الكوارث والأخطار، ولا يلجأ إلى الكذب بشهادة الزور وإلحاق الضرر بالغير، إلى غير ذلك من الطرق والوسائل الملتوية التي يلجئ إليها الكاذبون، لأن المؤمن يعلم أن الله ينصر الصادقين، وينجيهم من المخاطر، وأن ما أصاب العبد من حسنة أو من سيئة، أو من ابتلاء أو مصيبة فمن الله وحده قال تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ﴾[1]، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عَلَيْكُم بِالْصّدْق، فَإِن الْصّدْق يَهْدِي إِلَى الْبِر، وَإِن الْبَر يَهْدِي إِلَى الْجَنّة، وَمَا يَزَال الرّجُل يَصْدُق وَيَتَحَرّى الْصّدْق حَتّى يُكْتَب عِنْد الله صِدّيْقا، وَإِيّاكُم وَالْكَذِب، فَإِن الْكَذِب يَهْدِي إِلَى الْفُجُوْر، وَإِن الْفُجُوْر يَهْدِي إِلَى الْنّار، وَمَا يَزَال الرّجُل يَكْذِب وَيَتَحَرّى الْكَذِب حَتّى يُكْتَب عِنْد الله كَذّابا»[2].

---

(١) سورة النساء، الآية (٧٨).

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، رقم ٤٨٢٨.

إن الله عز وجل فضل اللسان على سائر الجوارح، ورفع درجته وأبان فضيلته بأن أنطقه من بين سائر الجوارح بتوحيده، فلا يجوز للعاقل أن يعود آلة خلقها الله للنطق بتوحيده على الكذب، بل يجب عليه المداومة على رعايته بلزوم الصدق، وما يعود عليه نفعه في الدنيا والآخرة، لأن اللسان يقتدي ما عود، إن كان صدقاً فصدقاً، وإن كان كذباً فكذباً[1].

«لقد وصل يوسف عليه السلام إلى درجة (الصديقية)، وهي أعلى درجات الصدق، قال تعالى ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ ﴾[2]، واعلم أن لفظ الصدق يستعمل في ستة معان:

صدق في القول، وصدق في النية والإرادة، وصدق في العزم، وصدق في الوفاء بالعزم، وصدق في العمل، وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها، فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق؛ لأنه مبالغة في الصدق، ثم هم – أيضاً – على درجات، فمن كان له حظ في الصدق في شيء من الجملة فهو صادق بالإضافة إلى ما فيه من صدق»[3].

ليس هناك صفة تكفل استقرار المجتمع، وتضمن الثقة بين الأفراد مثل الصدق، لذلك اعتبر أساساً من أسس الفضائل التي تبنى عليها المجتمعات، وجعل عنواناً لرقي الأمم.

و«ما فقدت هذه الصفة إلا وحل محلها عدم الثقة، وفقدان التعاون، فالصدق من ضرورات المجتمع، وينبغي أن ينال حظاً عظيماً من العناية والاهتمام في الأسرة، ووسائل التربية المختلفة»[4].

ولما كان يوسف عليه السلام عفيفاً طاهراً صادقاً أميناً، متصفاً بالأخلاق الرفيعة والنزاهة

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي، ص ٥١، بتصرف، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة أولى سنة ١٩٧٧م.

(٢) سورة يوسف، الآية (٤٦).

(٣) إحياء علوم الدين، الإمام أبو حامد الغزالي، (٤ / ٣٨٧)، مرجع سابق.

(٤) روح الدين الإسلامي، الأستاذ عفيف عبد الفتاح طبارة، ص٩٢، بتصرف، طبع دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثلاثون، سنة ١٩٩٥م.

فلابد أن يكون مستقيما في سلوكه وتعاملاته، ومما يدل على استقامته: حفاظه على اجتناب كل ما يدنس هذه الاستقامة ويؤثر على سمعته وتربيته الإسلامية التي نشأ عليها.

إن الاستقامة نعمة من نعم الله التي لا تعد ولا تحصى على الإنسان، وهي نعم الرفيق والخلق الكريم للمؤمن؛ لأن طريق الاستقامة يمثل سبيل العدل الذي لا عوج فيه ولا انحراف.

والجدير بالذكر: أن أثر الاستقامة لا يكون محصوراً على الفرد المستقيم فقط، بل يتعدى خيره وهديه إلى الأسرة، ثم إلى الجيران، ثم إلى المجتمع، بل يعم الأمة بأسرها، ولذلك يقول النبي ﷺ: «قُل آمَنْت بِالله ثُم اسْتَقِم»[1].

ولهذا أمر النبي ﷺ أمته بالاستقامة؛ لأن الله تعالى يعطي عليها الأجر العظيم الذي لا يستطيع المرء أن يحصيه؛ لأن الكريم إذا أعطى أجزل العطاء، وإذا وعد وفى، ووعد الله حق وصدق.

المطلب الرابع

أسباب تدهور التربية الأخلاقية وأثرها في انحراف الشباب المعاصر

لقد حافظ الإسلام على الأسرة المسلمة، وعمل على تحصينها وصيانتها من كل ما يؤدي إلى فسادها وانحرافها عن الطريق المستقيم، فوضع المنهج القويم للتربية الأخلاقية، ونهى عن كل ما يؤثر عليها ويضعفها، فنهى عن الاختلاط بين الشباب والشابات، وكذلك الخلوة والنظر المحرم الذي يؤدي إلى الفاحشة وسوء العاقبة، حيث تعد هذه الأمور من أقوى الأسباب والوسائل لإفساد الشباب بصفة خاصة والمجتمع بصفة عامة، كما يترتب على الاختلاط فساد الآداب ومساوئ الأخلاق،

(١) رواه مسلم في صحيحه، (١/ ٦٥)، كتاب الإيمان باب جامع أوصاف الإسلام، برقم ٦٢.

والتقليد الأعمى للغرب دون الحفاظ على الهوية الإسلامية، وهذا يؤدي إلى تقويض دعائم الأسرة، وينال من الشرف والحياء، ويفتح باب السفاح والفساد.

ومن أسباب تدهور التربية الأخلاقية أيضاً: ضعف الوازع الديني، وغياب دور الأسرة والبعد عن منهج الله تعالى لدى الأجيال المعاصرة.

إن الانحلال الخلقي يؤدي إلى ضياع الأمة، وانحرافها عن الطريق المستقيم؛ لأن التربية سلوك قبل أن تكون كلمات نظرية مجردة عن الفهم والتطبيق، فالبيئة النظيفة لها دور كبير في إعداد النشئ دينياً وخلقياً ونفسياً، واجتماعياً، وهي التي تعمق القيم الخُلقية في النفس البشرية، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1].

فلابد من تربية الأجيال على القيم والفضيلة والأخلاق، مع العمل على إزالة الجهل و بث الوعي بمخاطر الانحرافات الجنسية، لصيانة الشباب من الأمراض الجنسية الفتاكة التي تنتشر في الغرب.

ولا شك أن دخول الرجل على المرأة واختلاطه بها من أكبر أسباب الافتتنان التي تؤدي إلى الفواحش والزنا، ولهذا حرم الإسلام اختلاط الرجل بالمرأة وخلوته بها، قال ﷺ: «لا يَخْلُوَن رَجُل بِامْرَأَة إلا مَع ذِي مَحْرَم» فَقَام رَجُل، فَقَال: يَا رَسُوْل الله، امْرَأَتِي خَرَجَت حَاجّة، وَاكْتُتِبْت فِي غَزْوَة كَذَا وَكَذَا، قَال: «ارْجِع فَحُج مَع امْرَأَتك»[2].

أضرار ومفاسد الاختلاط بين الجنسين :

وفي قصة يوسف عليه السلام صورة لغواية المرأة للرجل، ودأبها المتواصل المستمر للحصول على مبتغاها، فالمرأة ذلك المخلوق الضعيف، ولكنها بفتنتها وإغرائها للرجل تصبح ذلك القوي الذي لا يقهر.

---

(١) سورة الأنعام، الآية (١٣٥).

(٢) صحيح البخاري: كتاب النكاح، باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم، حديث رقم ٤٩٣٩.

ولكن ما هي الأسباب التي أدت إلى غواية امرأة العزيز ليوسف عليه السلام ؟

في قصة يوسف عليه السلام عبرة وعظة للشباب المعاصر، وأن الفتنة والغواية ما كانت لتحدث لولا الاختلاط بين امرأة العزيز ويوسف عليه السلام بعيداً عن رقابة المحارم، ولذلك حذر الإسلام من اللقاء والاختلاط بين الشاب والفتاة إلا بوجود محرم.

فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول ﷺ قال: «إِيّاكُم وَالْخَلْوَة بِالْنّسَاء، وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِه، مَا خَلا رَجُل وَامْرَأَة إلا دَخَل الْشَيْطَان بَيْنَهُمَا، ولَيَزَحَم رَجُل خِنْزِيْرا مُتَلطّخَا بِطِيْن، أَو حَمَأَة خَيْر لَه مِن أَن يَزْحَم مِنْكَبَه مِنْكَب امْرَأَة لا تَحِل لَه»[1].

إن الاختلاط محظور شرعاً حتى في المساجد التي هي دور العبادة، فقد أمر رسول الله ﷺ أن لا تقف النساء مع الرجال في الصف للصلاة، بل يقفن وحدهن بعيداً عن الرجال يفصل بينهم الصبيان.

من أجل ذلك حرص الإسلام على اتخاذ الوسائل والتدابير الوقائية لمنع الاختلاط بين الرجال والنساء درءاً لانتشار الفساد والفحشاء، والحيلولة لمنع وقوع الزنا، ولابد للرجال والنساء من امتثال أمر الله تعالى ورسوله ﷺ حتى لا يُعرض المخالفون أنفسهم للعقوبة في الدنيا والآخرة.

وأحمد الله تعالى في ختام هذا البحث، وأدعو الله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه فإن وفقت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي.

---

(١) المعجم الكبير للطبراني، باب الصاد وما أسند أبو أمامة، حديث رقم ٧٦٩٤.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين.

وبعد ؛؛؛؛؛

فقد عشنا في ظلال قصة كريمة وسورة عظيمة من سور القرآن الكريم، قريبة إلى قلوبنا ونفوسنا، نقرؤها ونستمع وننصت إليها، ونتعلم من توجيهاتها، ونفيد من دروسها في العفة وكيفية تحصيلها، لننتصر على شهواتنا ونضبط غرائزنا، حتى نحيا حياة طيبة كريمة تنعم بالتربية الأخلاقية السليمة للأسرة والمجتمع والأمة.

ولذلك نستطيع أن نسجل بعض التوصيات والنتائج التي أفدنا منها؛ ليكون فيها العبر والعظات للعلماء والدعاة والمربين ولشباب الأمة الإسلامية في عصرنا الحديث، وذلك من خلال موضوع البحث التي نلخصها فيما يلي :

أولاً: النتائج:

١ – العفة هي رمز الطهارة والنقاء للفرد والأسرة والمجتمع، وقد حققها يوسف عليه السلام رغم إحاطة الشهوات والمغريات به، إلا أنه واجهها بالإيمان وانتصر عليها، وبذلك حقق القدوة للشباب المعاصر، خاصة في هذا الزمان الذي انتشر فيه الفساد، وكثرت فيه وسائل الإغواء والشر، واتبع بعض الشباب خطوات الشيطان.

٢ – قد يبتلى الإنسان نتيجة صموده أمام الباطل بالظلم والاضطهاد، كما حدث ليوسف عليه السلام من الاتهام والظلم، ولكنه صبر وتحمل محنة السجن وكيد النساء، وفضل السجن على المعصية وارتكاب الفاحشة، حتى برأه الله تعالى وحفظه، وشهد له الجميع بالعفة والبراءة

٣ – يجب على رب الأسرة أن يكون حازماً في تربيته وقيادته، فلا يهمل أو يتهاون خاصة إذا سمع أو رأى أمرا يخل بالمروءة والكرامة، فامرأة العزيز ما فعلت ذلك

إلا من تهاون زوجها وضعف غيرته، وانقياده خلفها ورخاوته.

٤ – لابد من التوازن بين الروح والجسد؛ ولذلك لما غلب على امرأة العزيز متطلبات الجسد على الروح ملك عليها هواها فعماها عن رؤية الحق، كما عمى بصيرتها فسلكت طريق الشيطان والنفس الأمارة بالسوء، والغرائز المهلكة غير المنضبطة التي قادتها إلى محاولة ارتكاب الفاحشة.

٥ – الدعاء إلى الله واللجوء إليه، والاستغاثة به في السراء والضراء، هو المخرج الوحيد للإنسان من المحن والابتلاءات لكشف الضر والهداية إلى الحق والإبصار بنور الإيمان، والإنقاذ من الضلال، ولابد أن يكون ذلك هو حال الشباب في كل أمور حياتهم متأسين بيوسف عليه السلام ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ولذلك يقول النبي ﷺ فيما روي عن صهيب رضي الله عنه: «عَجِبْت من قَضَاء الله لِلْمُؤْمِن، إن أَمْر الْمُؤْمِن كُلّه خَيْر، وَلَيْس ذَلك إِلَا لِلْمُؤْمِن، إن أَصَابَتْه سَرّاء فَشَكَر، كَان خَيْرا لَه، وَإن أَصَابَتْه ضَرّاء فَصَبَر، كَان خَيْرا لَه»[1].

٦ – التزام الداعية أدب الحديث عن الجنس، والبعد عن كل ما يخدش الحياء، كما تعلمنا من سينا يوسف عليه السلام وبلاغته واختصاره عند الحديث في هذا المقام ﴿مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۖ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾، ولذلك فالدعوة بالقدوة الصالحة والتطبيق العملي أجدى وأنفع من الدعوة القولية وحدها.

٧ – يجب على الشباب أن يحافظ على السمعة الطيبة والسيرة الحسنة، وأن يبتعد عن موضع الشبهات، وأصدقاء السوء، وأن يدافع عن شرفه وعرضه، وأن يهرب من كل ما يدنس سمعته.

٨ – على العلماء والدعاة والمربين الالتزام بأدب المعاملة مع المدعوين، بالإخلاص في

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند الأنصار، (٦/ ١٥)، رقم ٢٣٣١٣.

النصيحة، وستر العورات وعدم المجاهرة بالعيوب، والقول الحسن، والبعد عن فضح أسرارهم، كما كان حال يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز.

التحلي بالصبر والتقوى والاستقامة في مواجهة المحن والابتلاءات؛ لأن حياة الإنسان معرضة للمصائب والاختبارات في النفس والأهل والأولاد والمنصب والمال... وغيرها، وللتغلب على ذلك لابد من الصبر حتى ينجح الإنسان في مواجهتها والتصدي لها وعدم اليأس أو القنوط أو تعجل النتائج ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1].

الالتزام بمنهج الله تعالى في التربية الأخلاقية للأجيال المعاصرة، والتحذير من الاختلاط ومفاسده في مراحل التعليم المختلفة، وعلى الدعاة والمربين تحذير المدعوين من مخاطر الخلوة بالأجنبية، والنظر المحرم، والحث على الحشمة والوقار، وقرار النساء في البيوت، وتجنب كل ما من شأنه أن يؤدي إلى الإثارة الجنسية، وبيان الأمراض الخطيرة التي تصيب البيئة المنحلة أخلاقياً التي ترتكب فيها الفواحش.

ثانياً التوصيات :

١ – أوصي المسئولين بالحد من الاختلاط وذلك بالفصل بين الجنسين في مراحل التعليم المختلفة، وخاصة المدارس الأهلية والأجنبية، وبناء المدارس والمعاهد والكليات لكل جنس، حتى نحافظ على طهارة المجتمع وعفته ونقائه وهويته الإسلامية، لكي تنهض الأمة الإسلامية وترقى في شتى مجالات الحياة، ولعل ما رأيناه في الآونة الأخيرة يظهر لنا بوضوح أن الأزمة في بلدنا ليست اقتصادية، ولكنها أزمة أخلاقية من الدرجة الأولى، وإذا كنا نقتدي بالغرب في الاختلاط فها هي بريطانيا وغيرها من دول الغرب قد قامت بالفصل بين الجنسين في بعض مراحل التعليم المختلفة، وأرجو أن تكون العاقبة عندنا فنحافظ على قيمنا وأخلاقنا وتعاليم ديننا الحنيف.

---

(١) سورة يوسف، الآية (٩٠).

٢ – كما أوصي القائمين على التربية والتعليم بمراجعة مناهج التعليم في المراحل المختلفة لتنقيتها واستقلاليتها عن المناهج التي وضعها الغرب؛ وذلك لأن البيئة غير البيئة، والعلاج غير العلاج، من هنا كان للعالم الإسلامي خصوصيته ومناهجه التي تتفق مع فطرته وطبيعة وضوابط دينه.

٣ – على الحكومات وأولي الأمر تقع مسؤولية التخلص من علمانية الإعلام التي تعمل أغلبها ليل نهار في إفساد الشباب، وذلك لتربية النشء الصالح، وسعادة المجتمع واستقرار الأسر، وذلك بالكف عن الاستهتار بالقيم والمبادئ الإسلامية بنشر الإباحية والفساد فيما يعرض في وسائل الإعلام من أفلام ومسلسلات وصور عارية، ومجلات فاضحة مفسدة للشباب لا تعبر مطلقا عن رأي المجتمع، ولذلك أوصي بمراجعة كل ما يعرض في وسائل الإعلام على لجنة من كبار العلماء المشهود لهم بالنزاهة الفكرية والاعتدال والقدوة الحسنة في القول والعمل؛ لإيجاد البيئة الصالحة التي تعمل على حفظ حياء وأدب ودين وخصوصية المجتمع.

٤ – عدم التهاون في مسألة الاستهتار بالأعراض، واستصدار القوانين الحازمة الرادعة التي تضرب بيد من حديد على كل من تسول له نفسه بهتك الأعراض أو التحرش الجنسي أو المعاكسة ونشر الفساد والإباحية مهما كانت مكانته، حفاظا على أعراض وعفة المسلمين.

٥ – تقوم الدولة بتخصيص بعض الأموال من مواردها (صندوق زواج) لتزويج الشباب غير القادرين، وتوفير المساكن اللازمة، وتشجيع الزواج المبكر وعدم تحديد سن معين للزواج، مع تصحيح القوانين التي صدرت في العهود السابقة، والتي وضعت بعض العقبات في طريق الزواج والتحصين والعفة، وظهر فسادها بالأدلة القاطعة الآن، ومثال ذلك : كثرة الجرائم الجنسية، والزواج العرفي، وغيره من أنواع الزواج غير الشرعي، وكثرة العنوسة، وإحجام الشباب عن الزواج الشرعي.

٦ – إعداد مجلة للشباب بدلا عن المعروفة الآن تهتم بعرض مضار الانحرافات الجنسية، والأمراض المسببة لها والإحصائيات التي توضح الأعداد التي وقعت ضحية في العالم، وبيان منهج الإسلام في التربية الأخلاقية لصيانة الأعراض والحفاظ على الشباب.

٧ – عقد الندوات والدورات والمؤتمرات الدولية للشباب لتحديد الأسباب والآثار الناجمة عن مساوئ التربية الأخلاقية المتمثلة في خطط الغرب لتدمير أخلاق الشباب، وبيان آثارها على الفرد والمجتمع، وكيفية الوقاية منها وعلاجها في هدي الإسلام.

٨ – طبع الرسائل والكتيبات، وتسجيل الأشرطة والاسطوانات للمتخصصين من العلماء والمفكرين في التربية والدعوة والمهتمين بقضايا الشباب المعاصر للتوعية والتوجيه والإرشاد إلى أفضل الوسائل للعفة والنقاء، والبعد عن مساوئ الأخلاق، والحذر من مخططات أعداء الإسلام التي تعمل على تدمير أخلاق المجتمع تمهيدا لانهياره وضياع هويته وفساده وانحلاله.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١ – إحياء علوم الدين، الإمام أبو حامد الغزالي، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة أولى سنة ١٩٨٦م.

٢ – بلاغة الحوار في قصة يوسف عليه السلام، د. أمينه سليم، طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، سنة ٢٠٠١م.

٣ – تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، د. محمد الطيب النجار، طبع دار الاعتصام بالقاهرة، طبعة أولى، سنة ١٩٧٩م.

٤ – التحرير والتنوير، العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، طبع دار سحنون، تونس، سنة ١٩٩٧م.

٥ – التدين والصحة النفسية، د. صالح بن إبراهيم الصنيع، طبع مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، طبعة أولى، سنة ٢٠٠٠م.

٦ – تفسير التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، طبع دار سحنون، تونس، سنة ١٩٧٩م.

٧ – تفسير سورة يوسف عليه السلام، الشيخ محمد رشيد رضا، طبع مطبعة المنار بالقاهرة، سنة ١٩٧٢م.

٨ – تفسير محاسن التأويل، الإمام محمد جمال الدين القاسمي، طبع دار الفكر العربي، بيروت، طبعة ثانية، سنة ١٩٧٨م.

٩ – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، طبع مكتبة الصفا بالقاهرة، طبعة أولى، سنة ٢٠٠٤م.

١٠ – جامع البيان في تفسير القرآن، الإمام محمد بن جرير الطبري، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ثالثة، سنة ١٩٩٩م.

١١ – الجامع لأحكام القرآن، الإمام محمد بن أحمد القرطبي، طبع دار الحديث

بالقاهرة، طبعة ثانية، سنة ١٩٩٦م.

١٢ – الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، الإمام ابن قيم الجوزية، دار المعرفة – المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

١٣ – الحوار منهج حياة، د. الحُسين زروق، طبع دار السلام للطباعة والنشر بالقاهرة، طبعة أولى، سنة ٢٠٠٨م.

١٤ – روح الدين الإسلامي، الأستاذ عفيف عبد الفتاح طبارة، طبع دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الثلاثون، سنة ١٩٩٥م.

١٥ – روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي، طبع دار الكتب العلمية بيروت، طبعة أولى، سنة ١٩٧٧م.

١٦ – سنن الترمذي، الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض، طبع عيسى الحلبي بمصر، طبعة أولى، سنة ١٩٧٢م.

١٧ – سنن النسائي: طبع دار الكتب العلمية بيروت، طبعة أولى، سنة ١٩٩١م.

١٨ – سورة يوسف دراسة تحليلية د. أحمد نوفل، ط دار العرفان، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م، الأردن.

١٩ – الشخصية النسائية في القصة القرآنية، د. هدى عبد اللطيف عريان، طبع دار غار حراء، سوريا، طبعة أولى، سنة ٢٠٠٥م.

٢٠ – صحيح البخاري، الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، طبع المكتبة الإسلامية باستانبول، طبعة أولى، سنة ١٩٨٣م.

٢١ – صحيح مسلم، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة أولى، سنة ١٩٥٤م.

٢٢ – العفة ومنهج الاستعفاف، الأستاذ يحيى بن سليمان العقيلي، طبع دار الوفاء بالمنصورة، طبعة ثانية، سنة ١٩٩٢م.

٢٣ – غرر البيان من سورة يوسف عليه السلام في القرآن، الأستاذ أحمد محمود الشوابكة، طبع دار الفاروق، عمان، طبعة أولى، سنة ٢٠١٠م.

٢٤ – فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الإمام ابن حجر العسقلاني، طبع الكلية الأزهرية بالقاهرة، سنة ١٩٧٨م.

٢٥ – الفوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ط دار القاسم، الرياض ١٤٢١هـ.

٢٦ – في ظلال القرآن الكريم، الأستاذ سيد قطب، طبع دار الشروق بالقاهرة، الطبعة السادسة عشر، سنة ١٩٩٠م.

٢٧ – القاموس القويم للقرآن الكريم، الأستاذ إبراهيم أحمد عبد الفتاح، طبع مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، طبعة أولى، سنة ١٩٨٣م.

٢٨ – القرآن وعلم النفس، د. محمد عثمان نجاتي، طبع دار الشروق بالقاهرة، طبعة السادسة، سنة ١٩٩٧م.

٢٩ – قصص الأنبياء، عبدالوهاب النجار، محنة يوسف، ط دار الجيل، بيروت، طبعة ثانية.

٣٠ – لسان العرب، الإمام جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، طبع مطابع دار المعارف بمصر، بدون.

٣١ – لطائف الإشارات، الإمام عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك النيسابوري القشيري، طبع دار الكتاب العربي، القاهرة، سنة ١٩٧١م.

٣٢ – مجلة الأزهر، الجزء الخامس، السنة ٨٤، أبريل ٢٠١١م، إصدار مجمع الإسلامية بالقاهرة.

٣٣ – مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، إصدار مجلس النشر العلمي، العدد (٦٨) مارس ٢٠٠٧م.

٣٤ – مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني، طبع دار القرآن الكريم، بيروت، طبعة سابعة، سنة ١٩٨١م.

٣٥ – مدارج السالكين، الإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، طبع مؤسسة الرسالة بيروت، طبعة الرابعة، سنة ١٩٩١م .

٣٦ – المستدرك على الصحيحين، الإمام أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، طبع دار الكتاب العربي، بيروت، بدون.

٣٧ – المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، د. عبد الكريم زيدان، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت، طبعة أولى، سنة ١٩٩٧م.

٣٨ – مسند الإمام أحمد بن حنبل، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، طبعة خامسة، سنة ١٩٨٥م.

٣٩ – مع الأنبياء في القرآن الكريم، د. عفيف عبد الفتاح طبارة، طبع دار العلم للملاين بيروت، طبعة رابعة بدون.

٤٠ – المعجم الكبير للطبراني، طبع دار الحرمين بالقاهرة ، طبعة أولى سنة ١٩٩٥م.

٤١ – مفاتيح الغيب، الإمام فخر الدين الرازي، طبع دار الغد العربي بالقاهرة، طبعة أولى، سنة ١٩٩٠م.

٤٢ – المفردات في غريب القرآن، الإمام أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، طبع مكتبة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة، الطبعة الأخيرة، سنة ١٩٦١م.

٤٣ – موقع صيد الفوائد على شبكة الانترنت.

٤٤ – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الإمام برهان الدين أبي الحسن البقاعي، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٩٩٥م.

٤٥ – هداية المرشدين، الشيخ على محفوظ، ط دار الاعتصام، ط خامسة ١٩٥٢م، القاهرة.

٤٦ – وحي القلم، العلامة الأستاذ مصطفى صادق الرافعي، طبع دار الكتاب العربي، بيروت، طبعة ثانية، سنة ١٩٧١م.

٤٧ – الوحي والنبوة والعلم في سورة يوسف، الأستاذ عبد الحميد محمد طهماز، طبع دار العلم، دمشق، طبعة أولى، سنة١٩٩٠م.